

# الشرح المتمم على ثلاثة الأصول

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

(ت: ١٢٠٦هـ)

شرح وتحقيق:

أبي عبدالرحمن سمير بن بشير البرايجي الجزائري

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

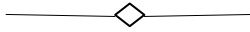
تقديم الشيخ الفاضل

أبي عبدالله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الشيخ الفاضل

أبي عبد الله محمد بن علي بن حزام البعداني حفظه الله ورعا



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فمن أهم الكتب التي اعتنت بتوحيد الألوهية هو كتاب "الأصول الثلاثة" للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله؛ فقد اعتنى بجمع أدلة التوحيد وبيان ذلك بيانا مباركا مما جعل أهل العلم يعتنون بهذا الكتاب تدریسا وشرحا ويحثون على حفظه، ومن قام بخدمة الكتاب أخونا الداعي الى الله عز وجل سمير ابن بشير بن لخضر البرايحي الجزائري في كتابه الذي سماه: "الشرح الممتع على ثلاثة الأصول" فقد ذكر في شرحه فوائد مهمة، وبعض النقولات المفيدة عن أهل العلم.

فجزاه الله خيرا ونفع به وبكتابه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده رب ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء وسيد المرسلين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة دل أتمته على خير ما يعلمه لهم، وحذرهم من شر ما يعلمه لهم، فالخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه جميع ما يكره الله ويأباه، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

### ثمأما بعد:

فإن الله عزوجل خلق الخلق ليوحده بالعبادة، ويكفروا بها سواه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا علمنا عباد الله أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لتوحيده بالعبادة، وجب علينا الاعتناء لما خلقنا الله لأجله علماً وعملاً، وكيف لا نعتني به وهو أعظم العلوم وأشرفها، وهو الأول دعوة الرسل ولأجله أرسلت، وأنزلت الكتب قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾  
[النحل: ٣٦].

وكيف لا نعنتي به وهو أول واجب يجب على المكلف، كما دل عليه حديث ابن عباس ب في الصحيحين أن رسول الله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله». وفي رواية لهما: «عبادة الله»، وفي رواية البخاري: «إلى أن يوحدوا الله» الحديث. وقال السفاريني -:

### أول واجب على العبيد معرفة الإله بالتسديد

وكيف لا؟ وهو حق الله الواجب على العبيد، وهو المانع من عذابه الشديد، كما دل عليه حديث معاذ بن جبل<sup>١</sup> في الصحيحين أنه قال: قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى جَهَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا».

وكيف لا نعنتي به وهو يتعلق بذات الله وأفعاله وأسمائه وصفاته.

فمن هذا المنطلق اعتنى علماءنا من قديم الزمان وحديثه بهذا الفن الشريف، فألفوا فيه الكتب والرسائل وشروحها وبسطوها ودرسوها.

ومن كان له اليد الطولى والعناية الفائقة بهذا الفن الشريف العلامة المهام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -، بعد ما كان ضعف واندرس هذا الفن في القرن الثاني عشر جدد الله بهذا الإمام الدين فآلف في التوحيد وبيان ما يضاده من



الشرك عدة كتب ورسائل مفيدة، ومن تلکم الرسائل: الرسالة التي بين أيدينا وهي "ثلاثة الأصول".

فقد اشتهرت في البلدان والأمصار وبلغت أقصى الأقطار، ونفع الله بها نفعاً عظيماً ما كان يخطر ببال، فقد حفظها الصغار والكبار والرجال والنساء، بل كان الملوك في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يأمرون جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول، ويعلمونهم إيها لما حتوته تحت طياتها معاني دقيقة وفوائد جليلة وأصول في العقيدة مع صغر حجمها، وكثرة محتاجيها، فهي يستفيد منها المبتدئ ولا يستغني عنها المنتهي.

وهذا كله يدل على إخلاص مؤلفها - فيما نحسبه والله حسيبه، ولقد شرح هذه الرسالة العظيمة جمع لا بأس به من علماء ومشايخ أهل السنة والجماعة رحم الله من مات منهم وحفظ من بقي منهم.

### سبب شرحي لهذه الرسالة

أسباب شرحي لهذه الرسالة كثيرة منها:

- ١ - يسر الله لي تدريس هذه الرسالة قبل ثلاثة سنين بدار الحديث بدماج حرسها الله، فطلب مني بعض إخواني في الله أن أخرج لهم هذا الشرح الذي درسته، فواعدتهم بإخراجه ولكنني شغلت بأشياء أخرى، والله في خلق شؤون.
- ٢ - كثرة طلب إخواني لهذا الشرح والسؤال عنه.
- ٣ - رجاء أن ينفع الله به كما نفع بأصله.

٤- نُصَحُ بعض إخواني لي بإتمامه وإخراجه كي تعم الفائدة فوافقت هذه النصيحة رغبت في نفسي بعد ما كنت تكاسلت عليه لكثرة شروحه، فاستعنت بالله في إكمالهِ وإتمامه وتهذيبه وتنقيحه، وبيان معانيه.

٥- لي رغبة في خدمة هذا الفن ورسائل هذا الإمام خصوصاً هذه الرسالة العظيمة، فيسر الله لي بخدمة خاصة لهذه الرسالة، والفضل في ذلك كله لله وحده وسميتها "الشرح الممتع على ثلاثة الأصول" للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

### طريقة شرحي لهذه الرسالة:

- ١- أمرُّ على الكلمة أو الجملة فأبين تعريفها في اللغة والشرع، وبيان أقسامها؛ لأنه بالتعاريف والتقاسيم يُضبط الشيء.
- ٢- اذكر بعض المسائل والفوائد التي تتعلق بالموضع.
- ٣- شرح الآيات من كلام أهل العلم.
- ٤- اذكر أحياناً الخلاف لمعرفته، ثم أرجح.
- ٥- أجمل وأحلي شرحي بأقوال أهل العلم الموثقين المعروفين.
- ٦- تخريج الأحاديث والآثار التي ذكرت في المتن أو الشرح مع الحكم عليها بما تستحقه من تصحيح أو تضعيف على قواعد المصطلح المعروفة مستفيداً من أهل الشأن في ذلك.
- ٧- اذكر الإجماع ومن نقله إن كان في المسألة إجماع.
- ٨- أعزو الكلام لقائله أو لمن استفدت منه، وهذا من أداء الأمانة، ولهم منا جزيل الشكر والدعاء.
- ٩- تحقيق وضبط المتن بعد ما يسر الله لي بمخطوطة جيدة بخط واضح:
- ١٠- قابلت المتن على المخطوطة ورمزت لها ب(خ).

١١- وعلى نسخة ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (٦/١٣٤-١٤١) رمزت لها بـ(م).

١٢- وعلى نسخة ضمن "الدرر السنينة" (١/١٢٥-١٣٦) ورمزت لها بـ(د).

١٣- رجعت إلى المصادر التي عز إليها المؤلف بعض كلام أهل العلم فإن كان حصل زيادة أو نقص قلت: زيادة أو نقص (من الأصل).

هذا ما يسر الله لي على العمل على هذه الرسالة العظيمة، وهو جهد المقل، والإنسان معرض للزلل والخطأ فما كان من صواب فهو من الله وما كان من خطأ، فمني ومن الشيطان اللعين فمن وجد خيراً فلا ينساني من الدعاء، ومن وجد خطأً فلينبهنا، ومن وجد فائدة كان بحسن ذكرها فليرشدنا إليها وله منا جزيل الشكر والدعاء، وهذا ونسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن لا يجعل فيها نصيباً للشيطان وأن يدخر لنا أجرها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو عبدالرحمن

سمير بن بشير بن لخضر البرايحي الجزائري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وسائر المسلمين.

ثناء وإرشاد بعض العلماء على ثلاثة الأصول وبيان أهميتها

١- قال الشيخ محمد بن عبداللطيف المتوفى سنة (١٣٦٧هـ)، والشيخ محمد ابن إبراهيم المتوفى (١٣٨٦هـ) رحمهما الله تعالى: ... فعلى إمام المسلمين - وفقه الله - أن يقيم في كل بلد من يقوم بهذا الشأن، ويلزم أئمة المساجد في كل بلد أن يسألوا العامة، عن ثلاثة الأصول المختصرة التي ألفها إمام هذه الدعوة، قدس الله روحه<sup>(١)</sup>. اهـ

٢- قال الشيخ عبد العزيز العنقري المتوفى سنة (١٣٧٣هـ) رحمه الله: واحرصوا على تعلم ثلاثة الأصول، فإن الذي ما يعرف دينه من جنس البهائم، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [سورة الأعراف آية: ١٧٩].

٣- قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي رحمه الله المتوفى (١٣٩٢هـ): فإن ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام والمسلمين مجدد الدعوة والدين، محمد بن عبد الوهاب -أجزل الله له الثواب- قد جد الناس فيحفظها لعظم نفعها، وتشوقت النفوس لبيان معانيها لرصانة مبانيها، فوضعت عليها حاشية



موضحةً لمعناها، مشجعةً لمن اقتناها. والله هو المسؤول أن ينفع بها، كما نفع بأصلها، إنه على كل شيء قدير<sup>(١)</sup>. اهـ

٤- قال العلامة عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المتوفى سنة (١٤٢٠هـ): هذه رسالة مهمة في العقيدة ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي الإمام المشهور المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - وأكرم مثواه. وقد كان -يلقن الطلبة والعامّة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة<sup>(٢)</sup>. اهـ

٥- قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: وهي رسالة جليّة مختصرة، مؤيدة بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ق. وهذه الرسالة في أصل عظيم من أصول الإسلام وهو العقيدة، وكان العلماء يهتمون بهذه المختصرات يؤلفونها، ويتعبون على اختصارها وتهذيبها ثم يحفظونها لطلبتهم؛ لتبقى أصولاً عندهم وذخيرة عندهم يستفيدون منها ويفيدون منها<sup>(٣)</sup>. اهـ

٦- قال الشيخ سليم بن عيد الهلالي حفظه الله: فإن رسالة "الأصول الثلاثة" اشتملت على الأركان التي يجب على الإنسان معرفتها، والأسس التي يجب

(١) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ٢١).

(٣) شرح الأصول الثلاثة (ص ٧).

اعتقادها، وهي معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة النبي محمد ق.

وهذه الرسالة في أصل عظيم من أصول الدين، ولذلك كان المحققون من أهل العلم يحرصون على هذه الرسالة، ويحثون عامة المسلمين على تعلّمها وحفظها، وذلك رغبة في الخير؛ إذ أعظم ما يُسدى للمؤمنين أن تُعلّمهم ما ينجيهم حين سؤال الملكين في القبر؛ لأن العبد إذا كان جوابه حسناً، وموقفه في البرزخ ثابتاً، عاش سعيداً، وبعث سعيداً، ودخل الجنة مسروراً، وإن كان جوابه غير مستقيم، فإن له معيشة ضنكاً، ويحشره مولاه يوم القيامة أعمى<sup>(١)</sup>. اهـ.

٧- قال الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي وفقه الله: فإن هذا الكتاب المسمى بـ"الثلاثة الأصول" من خير الكتب في العقيدة للمسلمين عموماً ولطلاب العلم خصوصاً، يستوي في الحاجة إليه المبتدئ والمتوسع في العلم. معنى ذلك أنه لا يستغني عما حواه أحد من طلبة العلم، بل ولا أحد من المسلمين المكلفين، فهو جدير بالحفظ وفهم المعنى، وجدير أيضاً بالمعلمين والمريين - لا سيما في مسائل الاعتقاد - أن يكون البدء به في معرفة عقيدة الإسلام قبل أي كتاب آخر يُبتدأ به، ثم بالقواعد الأربع، وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) من إعلام البعثة بمقاصد الأصول الثلاثة (ص ٥).

(٢) من طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول (ص ١٤).

## تسمية الرسالة

الأقرب تسميتها بثلاثة الأصول لأمر:

**الأولى:** اعتمد هذه التسمية لجنة جمع «مؤلفات الشيخ» في (١/١٨٣).

**الثانية:** بهذا الاسم سمّاها بعض المؤرخين كابن بشر<sup>(١)</sup>.

**الثالثة:** اعتمد هذه التسمية جماعة من العلماء، كعبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وعبدالعزیز بن عبدالله بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، وصالح بن فوزان الفوزان، وزید بن محمد بن هادي المدخلي، وغيرهم.

**الرابعة:** بهذا الاسم سمّاها المؤلف في المخطوطة التي بين أيدينا.

تسميات أخرى لهذه الرسالة القيمة:

- (١) ثلاثة الأصول وهو الذي اعتمدها، وهو الأقرب.
- (٢) ثلاثة الأصول وأدلتها.
- (٣) الأصول الثلاثة وأدلتها.
- (٤) الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة.
- (٥) تلقين أصول العقيدة للعامة.
- (٦) أصول الدين الإسلامي.
- (٧) مبادئ الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١-٢٣).

والذي يظهر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كتب هذه الرسالة عدة مرات  
ولهذا كثرت أسماؤها.

(١) ذكر هذه الأسماء السبعة: صالح العبود في «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» (١/٢١٢-٢١٣).

## تحقيق وضبط المتن

قال المؤلف:-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ .

• **الأولى:** الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْلَةِ .• **الثانية:** الْعَمَلُ بِهِ .• **الثالثة:** الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .• **الرابعة:** الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١ - ٣].

قال الشافعي:-

لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَّتْهُمْ<sup>(٢)</sup> .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ:-

بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] [فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ]<sup>(٣)</sup> .

(١) في (خ): زيادة وبه نستعين .

(٢) في (خ) هذه السورة لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هي لكففتهم .

(٣) ليست في الأصل .

اعْلَمَ رَحِمَكَ اللهُ؛ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ<sup>(١)</sup>  
وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

• **الأولى:** أَنَّ اللهُ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ أَرْسَلَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ  
أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ  
رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ  
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

• **الثانية:** أَنَّ اللهُ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ<sup>(٣)</sup> أَحَدٌ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ  
وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ<sup>(٤)</sup>، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾  
[الجن: ١٨].

• **الثالثة:** أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهُ لَا يَجُوزُ لَهُ مَوَالَاةٌ مِنْ حَادِ  
وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ  
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا Q وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ  
حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(١) في (خ-م) تعلم ثلاث هذه المسائل.

(٢) في (خ): وأرسلنا.

(٣) في (خ): أن يشرك معه في عبادته أحد.

(٤) في (خ): لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وفي (د): زيادة فضل عن غيرهما.

اعْلَمَ أَرْشَدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ؛ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهُ وَحْدَهُ مُخْلِصًا  
لَهُ الدِّينَ! وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا<sup>(١)</sup> كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ  
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُوحِّدُونَ.  
وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ.  
وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكَ وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

## الأصل الأول

هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي<sup>(٢)</sup> يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟  
فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ق.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّي اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي  
مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وَكُلُّ مَا  
سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

(١) ليست موجودة في (خ): وهي موجودة في (م، د).

(٢) في (خ): الذي.

(٣) في (خ): بنعمته.

فَإِذَا<sup>(١)</sup> قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

**فَقُلْ<sup>(٢)</sup>:** بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ<sup>(٣)</sup> آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ<sup>(٤)</sup> وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، و<sup>(٥)</sup> قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

**وَالرَّبُّ:** هُوَ الْمُعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: - الخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.

(١) في (خ): وإذا.

(٢) في (د): زيادة أعرافه.

(٣) في (خ): فمن.

(٤) في (خ): زيادة وما فيهن.

(٥) في (خ): زيادة والدليل.



وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا؛ مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاسْتِعَانَةُ، وَالْاسْتِعَاذَةُ، وَالْاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ<sup>(١)</sup>، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا (كُلُّهَا لِلَّهِ)، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ «الدُّعَاءُ مِنْ الْعِبَادَةِ»، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

• **وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

• **وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) في (خ): زيادة والتوبة.

(٢) في (خ): فمن صرف من هذه الأشياء لغير الله تعالى.

- **وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
- **وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْحُسُوعِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
- **وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٥٠].
- **وَدَلِيلُ الْإِيَابَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية.
- **وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].  
وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>.
- **وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾<sup>(٢)</sup> [الفلق: ١].  
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٢].
- **وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].
- **وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].
- **وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]<sup>(٣)</sup>.

(١) سقط من (خ): وهو موجود في (م،د).

(٢) سقطت من (خ): وهي موجودة في (م،د).

(٣) في (خ): زيادة ودليل التوبة وقوله: (وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) [النور: ٣١].

## الأصل الثاني

### مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشِّركِ وَأَهْلِهِ<sup>(١)</sup> والخُلُوصِ مِنَ الشِّركِ. وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: (الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان)، وكل مرتبة لها أركان.

### فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ (خَمْسَةٌ)<sup>(٢)</sup>

شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، و (إِقَامُ الصَّلَاةِ)، و (إِيتَاءُ الزَّكَاةِ)، و (صَوْمُ رَمَضَانَ)، و (حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ).

• **فَدَلِيلُ الشَّرَاذَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده، و (لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) في (خ): والخُلُوصُ مِنَ الشِّركِ فِي (م، د) مَا أَثْبَتَنَاهُ وَهُوَ الصَّوَابُ كَمَا سَيَأْتِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي الشَّرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٢) في (خ): زِيَادَةٌ وَهِيَ: (وَالدَّلِيلُ مِنَ السَّنَةِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق: «بَيَّنِّي الْإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»، وَمِثْلُهُ فِي (د): وَلَكِنْ زَادَ بَعْدَهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: ٨٥].

(٣) في (د): كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ (خ، م).

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

• **وَدَلِيلُ سَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

• **وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

• **وَدَلِيلُ الصِّيَامِ<sup>(١)</sup>؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

• **وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(١) في (خ): الصوم.

## المرتبة الثانية الإيمان

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ<sup>(١)</sup>.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ<sup>(٢)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

## المرتبة الثالثة: الإحسان

رَكَعٌ وَاحِدٌ: وَهُوَ<sup>(٣)</sup> أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. **وَالدَّلِيلُ**؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

(١) في (خ-د): والقدر خيره وشره كله من الله، والمثبت من (م).

(٢) سقط من (د): وهو مثبت في (خ-م).

(٣) في (خ): زيادة هنا: والدليل قوله تعالى: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) [لقمان: ٢٢] وهي موجودة كذلك في (د)

لكن بعد قوله: (أن تعبد الله...).

**وَالدَّلِيلُ مِمَّ السُّنَّةُ:** حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمُشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ  
 O قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ق (١) إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ  
 شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ فَجَلَسَ (٢) إِلَى النَّبِيِّ ق  
 فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ  
 الْإِسْلَامِ فَقَالَ (٣): أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَنَّ مُحَمَّدًا ق رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ  
 الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ:  
 صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ (٤) خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (٥) قَالَ:  
 فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ  
 قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمُسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي  
 عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ  
 يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟  
 قُلْنَا (٦): اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ (٧) دِينِكُمْ.»

(١) في الأصل: بينا نحن عند رسول الله ق ذات يوم.

(٢) في الأصل: (حتى جلس).

(٣) في الأصل: (فقال رسول الله ق الإسلام)

(٤) في (خ): والقدر، والمثبت من الأصل.

(٥) سقط من (خ) وأثبتناه من الأصل.

(٦) في الأصل: (ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل، قلت).

(٧) في الأصل: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

## الأصل الثالث

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الأصل الثالث: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ق.

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ

مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا<sup>(١)</sup>  
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِمَّ الْعُمْرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ

نَبِيًّا رَسُولًا. نَبِيٌّ بَاقِرًا. وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنَةِ. وَبَلَدُهُ مَكَّةُ<sup>(٢)</sup>.

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ<sup>(٣)</sup> \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \*

وَلَا تَمُنَّ بِتَمَنُّكَ تَسْتَكْبِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، وَمَعْنَى قُمْ فَأَنْذِرْ: يُنذِرُ

عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ عَظْمُهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: أَيُّ

(١) في (د): (على نبينا وعليه).

(٢) في (د): زيادة (هاجر إلى المدينة).

(٣) في (خ): زيادة: (يعني).

طَهَّرَ أَعْمَالَكَ مِنَ الشُّرْكِ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، الرَّجْزَ: الْأَصْنَامَ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا  
وَأَهْلِهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا<sup>(١)</sup>.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

وبعد لها أمر بالهجرة في المدينة، والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد  
الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام<sup>(٢)</sup>، وهي  
بأقية إلى أن تقوم الساعة.

والدليل؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ  
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا  
فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ  
وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ  
عَنَّهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩] ، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ  
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي: - سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا

نَادَاهُمْ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.

(١) في (خ): زيادة (وعداوتها وأهلها وفراقها وأهلها).

(٢) سقطت من (خ - د) وأثبتناها من (م).



وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِمَّ السُّنَّةُ؛ قَوْلُهُ ق: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ<sup>(١)</sup>، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ<sup>(٢)</sup>، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَوُجَّهِي صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> وَدِينُهُ بَانَ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ<sup>(٤)</sup>، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ<sup>(٥)</sup> مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهُ الشِّرْكَ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ فِي النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ<sup>(٦)</sup> الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) في (خ-م): والجهاد والأذان.

(٢) سقط من (خ) وأثبتناه من (م-د).

(٣) في (خ-د): ق.

(٤) في (خ-د): عنه.

(٥) سقط من: (خ).

(٦) في (خ): له.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١]، وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُعْتَنُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨] وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ<sup>(١)</sup>، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتُوا قُلُوبًا بَلَىٰ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ق وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ<sup>(٢)</sup>، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ

(١) في (د): زيادة: (إن خيراً فخير وإن شراً فشر).

(٢) في (خ-د) زيادة: (لا نبي بعده والدليل قوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)

اللَّهِ وَحْدَهُ<sup>(١)</sup> وَيُنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا﴾ [النحل: ٣٦]، وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -: مَعْنَى<sup>(٣)</sup> الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ، وَالطَّاغُوتُ كَثِيرَةٌ. وَرُؤُوسُهُمْ حَمْسَةٌ، إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَبَدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ<sup>(٦)</sup>.

(١) سقط من: (د).

(٢) في (خ-د): (أَنْ يَكْفُرُوا بِالطَّاغُوتِ، وَيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى).

(٣) أثبتناها من (خ-د) وهي ليست موجودة في الأصل.

(٤) في (خ-د) قدم هذه الجملة على قوله: (ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه).

(٥) في (خ) زيادة: (عز وجل) وهي ليست في الأصل.

(٦) في (خ): (تمت ثلاثة الأصول والحمد لله رب العالمين وسلم تسليماً كثيراً) والثبت من: (م-د).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### شرح البسمة:

○ ابتدأ المصنف : كتابه بالبسمة اقتداء بكتاب الله عزوجل، فإن الله عزوجل بدأ أول سورة في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك ما من سورة في كتابه إلا ذكر في أولها البسمة ما عدا سورة التوبة.

○ واقتداء بسنة النبي ق فإنه كان يتدئ كتبه إلى الملوك بالبسمة، كما في «الصحيحين» عن ابن عباس <sup>(١)</sup> في قصة هرقل، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم...» الحديث.

وكما في حديث البراء بن عازب <sup>(٢)</sup> ونحوه عن أنس <sup>(٣)</sup> في صلح الحديبية، أن النبي ق قال لعلي أ: «اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله...» الحديث.

○ وهكذا كانت طريقة الرسل قبله، فهذا سليمان ✕ أرسل كتابًا إلى ملكة سبأ فبدأ فيه بالبسمة، كما أخبر الله عزوجل في كتابه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (٤٦٠٧).

(٢) رواه مسلم (٤٦٣١).

(٣) رواه مسلم (٤٦٣٢).

لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان ×:

قال ابن كثير:<sup>(١)</sup> قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل سليمان ×. اهـ

وقال القرطبي:<sup>(٢)</sup> و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مما أنزله الله تعالى في كتابنا وعلى هذه الأمة خصوصاً بعد سليمان ×.

وقال أيضاً:<sup>(٣)</sup> اتفقوا على كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول الكتب والرسائل وعلى ختمها؛ لأنه أبعد من الرية. اهـ

تنبيه: مما روي عن النبي ق من حديث أبي هريرة أنه قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبت»: ضعيف جداً، في سنده أحمد بن محمد بن عمران يعرف بابن الجندي، قال الخطيب: كان يضعف في روايته، ويطعن عليه في مذهبه<sup>(٤)</sup>، قال الأزهري: ليس بشيء<sup>(٥)</sup>، وللحديث ألفاظ أخرى وطرق متعددة وكلها فيها ضعف<sup>(٦)</sup>.

(١) في تفسير سورة النمل الآية (٣٠).

(٢) في تفسير البسملة.

(٣) في تفسير سورة النمل الآية (٣٠).

(٤) رمي بالتشيع واتهمه ابن الجوزي رحمه الله بالوضع.

(٥) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/١٩٢) رقم (٥٧٤)، و«لسان الميزان» (١/٢٨٨) رقم (٨٥٢).

(٦) من طريق قرة بن عبد الرحمن المعافري المصري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً، وقرة ضعيف وقد خالفه غيره من الثقات فرووه مرسلًا عن الزهري منهم: يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبدالعزيز، فالحديث رفعه منكر، والصواب أنه مرسل ورجح إرساله أبو داود في «سننه» (٥/١٧٢) رقم (٤٨٤٠)، والدارقطني في «سننه» (١/٢٢٩) أول كتاب الصلاة، ومما يدل على ضعفه أيضاً: اضطرابه، فأحياناً يقول: أجذم، وأحياناً يقول: أقطع، وأحياناً يقول: أبت.

## تقدير المحذوف في البسمة:

والباء في (بسم) للإستعانة، وهي متعلقة بمحذوف اتفاقاً قدره البصريون اسماً مقدماً، والتقدير ابتدائي أو تأليفي، وقدره الكوفيون فعلاً مقدماً والتقدير: أبتدئ أو أولف.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هل هو اسم أو فعل متقاربان وكل قد ورد به القرآن. اهـ

**قلت:** والأرجح كونه فعلاً خاصاً مؤخرًا.

أما كونه فعلاً: لأن الأصل في العمل الأفعال ولكثرة التصريح به كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وحديث: «باسمك ربي وضعت جنبي» الحديث<sup>(٢)</sup> ونحوهما.

فائدة لابن القيم في حذف العامل من البسمة:

وذكر ابن القيم<sup>(٣)</sup> فوائد لحذف العامل في (بسم الله) منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله فلو ذكرت الفعل وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود، ومنها: أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة...، ومنها: أن الحذف أبلغ... اهـ

وأما كونه خاصاً: فلأن كل مبتدئ بالبسمة بضمير أمر ما جعل البسمة مبدأه.

انظر: «إرواء الغليل» (٢٩/١) رقم (١) و(٢)، و«السلسلة الضعيفة» (٣٠٣/٢) رقم (٩٠٢).

(١) في تفسير سورة الفاتحة في الكلام على البسمة.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في «بدائع الفوائد» (٤٣/١).

فالمبتدئ في التأليف إذا قال: (بسم الله) ينوي: (أؤلف) وفي الشرب: (أشرب) وهلم جرًّا.

وأما كونه متأخرًا: فلا مور منها: الاهتمام باسمه تعالى، ومنها: التبرك بالبداة باسم الله تعالى، ومنها: إفادة الحصر، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.



### إِعْلَم رَحِمَكَ اللهُ

قوله (اعلم): صيغة الأمر من علم: والمعنى: انتبه واستمع وتيقظ وتهيأ لما سيذكر لك أيها المخاطب، وهي كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقي إليه منها.

والعلم هو: صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًّا<sup>(١)</sup>، وأحسن تعريف له في الشرع هو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة كما قاله المؤلف - والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال، كالعلم بأن النار حارة، والعلم بأن الثلج بارد، فهذه الأشياء لا تحتاج إلى نظر واستدلال، ويشترك في علمها العالم والجاهل.

والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال، كالعلم بوجوب النية في الوضوء، وكالعلم بوجوب تكبير الإحرام في الصلاة، وهلم جر، وهذا لا يدركه إلى المتعلم لأنه يحتاج إلى نظر واستدلال.

### رحمك الله

(١) «إرشاد الفحول للشوكاني (١/٦٤).

قوله (رحمك الله): هذا دعاء من الشيخ : بالرحمة، وكثيراً ما يفعل هذا في كتبه، وهذه طريقة العلماء أنهم يتدئون كتبهم بالدعاء والأساليب الحسنة كي يكون أقرب للقبول من المخاطب، وهذا دليل على شفقتة واهتمامه بالمخاطب ومحبة الخير له.

**والمعنى:** غفر الله لك ما مضى من ذنوبك ووقفك وعصمك فيما يستقل منها، هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة، فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة التوفيق للخير والسلامة من الذنوي في المستقبل<sup>(١)</sup>.



..... أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلٍ .....

قوله (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا): أي: نحن معاشر المسلمين المكلفين، وليست هذه المسائل خاصة بطالب العلم فقط، بل تعم كل فرد من أفراد المسلمين رجالاً كانوا أو نساء، كباراً كانوا أو صغاراً.

**والواجب لغة:** الساقط واللازم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦] أي: سقطت.

**واصطلاحاً:** ما أمر به الشارع على وجه الإلزام كالصلوات الخمس أو تقول: ما يثاب فاعله امتثالاً ويستحق العقاب تاركه.

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للعلامة العثيمين (١٢).



قوله (تَعَلَّمْ أَرْبَعَ مَسَائِلَ): والمسائل هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم، ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها<sup>(١)</sup>، وسميت مسائل؛ لأنها يجب أن يسأل عنها ويعنى بها.

والمسائل الأربعة هي: المجموعة في سورة العصر وهي: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، هذا على وجه الإجمال وسيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى.



### الأولى: العِلْمُ:

قوله (الأولى: العِلْمُ): والمقصود بالعلم هنا: العلم الشرعي التي أصوله: كتاب الله وسنة رسوله ق وإجماع الأمة، وهي أصول ضرورية، يليها أصل مكتسب وهو القياس على أصل من تلك الأصول.

وإنما قلنا: مقصود المؤلف بالعلم الشرعي لأمر منها:

(١) أن كلمة العلم إذا اطلقت ولم تقيد أريد بها العلم الشرعي.

(٢) أن العلم غير الشرعي، كعلم الهندسة وغيره ليس واجباً علينا على الإطلاق وهو: قال: يجب علينا.

(٣) أن هذه المسائل الأربعة التي ذكرها متعلقة بالتوحيد وهو من العلم الشرعي بل هو أساسه.

(١) التعريفات «للجرجاني (١٧٠).

(٤) والعلم منه ما يكون فرض عين، ومنه ما يكون فرض كفاية.

قال أبو عمر يوسف بن عبدالبر "جامع بيان العلم وفضله" (١/٥٦-٥٧): .: قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع. اهـ

**مثال:** فرض العين كمعرفة التوحيد والعقائد وغيرها. ومثال فرض الكفاية: كعلم التجويد وعلم الفرائض وغيرها.



..... هو معرفة .....

قوله وهو معرفة: فسر العلم بالمعرفة فقال: هو معرفة الله، فما الفرق بين العلم والمعرفة؟

قال الشيخ محمد أمان الجامي: في "شرح ثلاثة الأصول" (ص: ٢٠):

ما الفرق بين العلم والمعرفة؟ لماذا فسر الشيخ العلم بالمعرفة؟

المعرفة أعم من العلم، العلم خاص بما لم يسبق بجهل لذلك يستعمل في حق الله تعالى العلم، ولا تستعمل المعرفة في حق الله؛ لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل أي: الإدراك المكتسب بعد أن لم يكن، إذًا بالنسبة لنا يقال له: علم، ويقال له: معرفة وفي حق الله تعالى يقال له: العلم فقط. اهـ

وقال ابن القيم: "مدارج السالكين" (٢/٤٧٢):

والفرق بينه (أي: العلم) وبين المعرفة من وجوه ثلاثة:

**أحدّها:** أن (المعرفة) لب العلم ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان وهي: علم خاص متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق.

**والثاني:** أن (المعرفة) هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه، فهي علم تتصل به الرعاية.

**والثالث:** أن (المعرفة) شاهد لنفسها، وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن صاحبها أن يشك فيها ولا ينتقل عنها الله<sup>(١)</sup> وكشف المعرفة أتم من كشف العلم، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ

**قلت:** على هذا، فكل معرفة علم وليس كل علم معرفة.

والثاني: يعرف بالنظر في آياته الشرعية في كتاب الله وسنة رسوله **ق**.

**والثالث:** يعرف بالنظر في آياته الكونية وهي المخلوقات، فكلما نظر الإنسان في مخلوقات الله، كالجبال والبحار والحيوانات والسموات وهذا العالم بأسره وما فيه عرف ربه وخالقه ورازقه وأحبه وأذعن له وتبع شرعه، وأحب أن يتقرب إليه بشئى الوسائل كي يدخله الجنة وينجيه من النار والعياذ بالله.

وفي آيات كثيرة يحث الله عزوجل على التدبر في مخلوقاته: قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

(١) أي: معرفة الله بأسائه وصفاته وآلته ونعمائه على خلقه، وتعرف معرفة الله بثلاثة أشياء: أولاً: بالفطرة، فإن كل إنسان يولد على الفطرة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي **ق** قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» الحديث أخرجه البخاري رقم (١٣٨٥)، ومسلم برقم (٢٦٥٨) واللفظ للبخاري.

رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)  
فَذَكَّرْنَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿ [الغاشية: ١٧ - ٢١].

فائدة:

قال العلامة ابن القيم: "فوائد الفوائد" (ص ٤٠):

معرفة الله سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:

**الأول:** معرفة إِقْرَارِ وَهْيِ: الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا النَّاسِلِبْرُ وَالْفَاجِرُ وَالْمَطِيعُ

وَالْعَاصِي.

**وَالثَّانِي:** معرفة توجب حَيَاءَ مِنْهُ وَالْمَحَبَّةَ لَهُ وَتَعَلَّقَ الْقَلْبَ بِهِ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِهِ

وَخَشْيَتَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَالْأَنْسَ بِهِ وَالْفِرَارَ مِنَ الْخُلُقِ إِلَيْهِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الْخَالِصَةُ

الْجَارِيَةُ عَلَى لِسَنِ الْقَوْمِ. اهـ

وَقَالَ أَيْضًا "فوائد الفوائد" (ص ٤١): ولهذه المعرفة بَابَانِ وَاسْعَانِ:

**الباب الأول:** التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا وَالْفَهْمُ الْخَاصُّ عَنِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ.

**وَالْبَابُ الثَّانِي:** التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ وَتَأَمُّلُ حِكْمَتِهِ فِيهَا وَقُدْرَتِهِ وَلَطْفِهِ

وَإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ وَقِيَامِهِ بِالْقِسْطِ عَلَى خَلْقِهِ.

**وَجَمَاعُ ذَلِكَ:** الْفِقْهُ فِي مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَجَلَالِهَا وَكَمَالِهَا وَتَفَرُّدِهِ بِذَلِكَ

وَتَعَلُّقِهَا بِالْخُلُقِ وَالْأَمْرِ فَيَكُونُ فِقْهِيًّا فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فِقْهِيًّا فِي قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ

فِقْهِيًّا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فِقْهِيًّا فِي الْحُكْمِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ وَالْحُكْمِ الْكُونِيِّ

الْقُدْرِيِّ. اهـ

## ومعرفة نبيه .....

قوله (ومعرفة نبيه): وتكون هذه المعرفة بمعرفة نسبه وأنه رسول أرسل من رب العالمين ليبلغ دين الله وبمعرفة ما أمر به ونهى عنه، وأنه أرسل للناس كافة وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، وسيأتي شيء من ذلك في الأصل الثالث من الثلاثة الأصول.

**والنبي في اللغة:** مشتق من (نبأ) فهو منبئ عن الله أي: مخبر عن الله، وقيل: مشتق من النبوة والنباوة وهو: الارتفاع عن الأرض<sup>(١)</sup>.

**والرسول في اللغة:** مشتق من (رسل) وجمعه: رُسل ورُسل بضم السين وتسكينها، ومعناه: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا أي: متتابعة<sup>(٢)</sup>.

**وفي الشرع:** إنسان، ذكرٌ، حرٌ، ذو نسب.

فائدة في الفرق بين الرسول والنبي:

اختلفوا في الفرق بين الرسول والنبي على عدة أقوال<sup>(٣)</sup>، والصحيح ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية—.

فقال—”كتاب النبوات“ (٧١٧/٢): فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر،

(١) انظر: «لسان العرب» و«القاموس المحيط» [مادة: نبأ].

(٢) انظر: «لسان العرب» و«القاموس المحيط» [مادة: رسل].

(٣) راجعها في «روح المعاني» للألوسي (٢٥٦/١٠) ط/ دار الفكر، فقد ذكر ستة أقوال.

والنهي. فإن أرسلوا إلى كفار يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدَّ أن يكذَّب الرسل قومٌ؛ فهم رسلٌ فإنَّ الرسل تُرسل إلى مخالفين؛ فيكذِّبهم بعضهم، ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك. اه بتصرف يسير. وانظر كذلك: "مجموع الفتاوى" (١٠ / ٢٩٠).



### وَمَعْرِفَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ

**الإسلام لغة:** الإنقياد والإذعان<sup>(١)</sup>، أي: لما أخبر به الرسول ق.

**وشرعاً:** هو الإستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وسيأتي - إن شاء الله - في الأصل الثاني شرح هذا التعريف.

**وله معنيان:** (١) معنى عام. (٢) معنى خاص.

• **أما معناه العام:** فإن كل الرسل بعثوا بالإسلام، وعلى هذا فكل من اتبع رسولاً حين أرسله الله فهو مسلمٌ لله منقاداً له موحد له، فاليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام في زمانه مسلمون وكذلك النصارى الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في زمانه مسلمون، هذا بالمعنى العام.

• **أما معناه الخاص:** فهو الذي بعث به نبيه محمداً ق وأظهره على الأديان الأخرى وهو المقصود في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) قال النووي في «شرح مسلم» تحت حديث رقم (٩٣): وأصل الإسلام: الإنقياد، فقد يكون المرء مستسلياً في

الظاهر غير منقادٍ في الباطن، وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقادٍ في الظاهر. اه

ودين محمد ق ناسخ لجميع الأديان قبله ولهذا كان من أطاع الرسول واتبع دينه دخل الجنة ومن عصاه ورغب عن دينه دخل النار والعياذ بالله، وهذا هو الإسلام الذي امتن الله به على نبيه وأمه حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال شيخ الإسلام—كما في “الفتاوى” (٧/ ٦٣٥-٦٣٦):

وله معنيان (أي: الإسلام):

- **أَحَدُهُمَا:** الدِّينُ الْمَشْتَرَكُ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى اتِّحَادِ دِينِهِمْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
- **وَالثَّانِي:** مَا اخْتَصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الدِّينِ وَالشَّرْعَةِ وَالْمُنْهَاجِ، وَهُوَ الشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ. اهـ

فائدة:

قال شيخ الإسلام—كما في “الفتاوى” (٣/ ٩١): فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده: فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشارك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده. اهـ



..... بالأدلة ، الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ .....

قوله (بالأدلة): الأدلة جمع دليل، **والدليل لغة:** هو المرشد، **وقيل:** ما يستدل

به.

**واصطلاحاً:** هو ما يوصل إلى المطلوب.

وقال الجرجاني "التعريفات" (٨٩): **هو:** الذي يلزم من العلم به العلم بشيء

آخر.

والأدلة تكون من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة  $\Phi$ .

وفي هذا إشارة من المؤلف — على أن نأخذ ديننا وسائر أعمالنا وأقوالنا بالأدلة والحجج القاطعة، وفيه إشارة منه كذلك إلى ذم التقليد وأهله وعلى أنه يجب للإنسان أن يأخذ دينه بالأدلة والحجج القاطعة، وما أكثر المقلدين في هذا الزمان والله المستعان.

وما أحسن قول الطحاوي —: لا يقلد إلا عصبى أو غبى<sup>(١)</sup>.

قوله (الثانية): أي: من المسائل الأربعة التي يجب علينا أن نتعلمها.

قوله (العمل به): أي: العمل بالعلم لأن العمل بالعلم هو الثمرة، فالعلم بدون عمل كالشجرة بلا ثمر، فالإنسان لا يكفي أن يعلم فقط بل يجب عليه إذا علم أن يعمل بما علم كي لا يكون هذا العلم حجة عليه كما قال النبي ص: «والقرآن حجة لك أو عليك»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «لسان الميزان» (١/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري .



وكذلك من عَلِمَ ولم يعمل بالعلم كان من أول من تسعر بهم النار كما أخبر النبي ق  
فقال: «أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»، وقد قال الشاعر:  
وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن<sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام:-

فَمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ كَانَ فَاجِرًا وَمَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ ضَالًّا وَقَدْ أَمَرَنَا  
اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ نَقُولَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قَالَ النَّبِيُّ ق: «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ  
وَالنَّصَارَى ضَالُونَ» وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ وَالنَّصَارَى عَبْدُوا  
اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَقُولُونَ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ  
الْجَاهِلِ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ. وَكَأَنُوا يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِيهِ شَبَهُ  
مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ فَسَدَ مِنَ الْعِبَادِ فِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى فَمَنْ دَعَا إِلَى الْعِلْمِ دُونَ  
الْعَمَلِ الْمَأْمُورِ بِهِ كَانَ مُضِلًّا وَمَنْ دَعَا إِلَى الْعَمَلِ دُونَ الْعِلْمِ كَانَ مُضِلًّا ... اهـ

تنبيه:

يشترط لقبول العمل: شرطين وهما:

**الأول:** الإخلاص لله عز وجل.

**الثاني:** المتابعة للنبي ق<sup>(٢)</sup>.



(١) تنبيه: قال شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري في دروسه العامة النافعة بالخير: البيت فيه مبالغة.

(٢) «مجموع الفتاوى» وقد بينت أدلة هذا الكتاب والسنة في «التعليقات السلفية على الأصول الستة».

## الثالثة: الدعوة إليه.

قوله (الثالثة): أي: من المسائل الأربعة التي ذكرها.  
 قوله (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ): أي: الدعوة إلى ما جاء به الرسول ق من شريعة الله سبحانه وتعالى.

والدعوة إلى الله عبادة عظيمة، أمر الله بها، وحثَّ عليها، وجعل أهلها أحسن الناس قولاً، وأفضلهم عملاً فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] والدعوة إلى الله وظيفة الرسل والأنبياء ومن تبعهم بإحسان قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقد أوجب الله سبحانه أن تكون في هذه الأمة طائفة تدعو إلى الله تعالى وترشد الناس إلى الخير، وتأمروهم به وتحذروهم من الشر وتنهاهم عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] واعتماداً على هذه الآيات صرح العلماء رحمهم الله تعالى بأن الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية يجب على طائفة من المسلمين القيام بها في كل زمان، فإن لم يقم بها أحد منهم أثموا جميعاً<sup>(١)</sup>.

(١) قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١٦٥/١٥): ... وهذا الواجب على مجموع الأمة، وهو الذي يسميه العلماء

فرض كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقيين فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك، ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن

الباقيين ... إلخ.

ولقد رتب الشارع لمن قام بهذا الأمر (وهو الدعوة إلى الله) ثواباً عظيماً وأجرًا جزيلاً ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي قال لعلي: «والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه»<sup>(٢)</sup>. اهـ

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن أبي مسعود الأنصاري أقال: قال رسول الله ص: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»<sup>(٤)</sup>.

فليستبق المسلمون إلى هذا الفضل، وليغتنموا هذا الثواب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ومما لا يخفى على ذي عقل وبصيرة شدة حاجة الأمة في كل زمان - وخاصة في زماننا - إلى الدعاة الصالحين المصلحين، الناصحين المشفقين، وذلك لما ألمَّ بهذه

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٩٤٢)، ومسلم رقم (٢٤٠٦).

(٢) في شرح مسلم تحت هذا الحديث (١٧٣/١٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣).

الأمّة من الغزو الخارجي لأفكارها، وعقائدها وأخلاقها بما ألقاها في أوساطها من فتنة الشهوات والشبهات<sup>(١)</sup>.

**والدعوة إلى الله تكون:** بالتدريس، وبالتأليف، وبنشر الكتب والأشرطة النافعة لأهل العلم المعروفين بالسنة والثبات والنصح للمسلمين، وبالخطابة والمحاضرات، وتكون الدعوة إلى الله في المساجد وهذا هو الأصل، وفي الأسواق والطرقات والبيوت وغيرها.

**ومنه الخطأ:** أن يظن الداعي إلى الله أن الدعوة تكون بالظهور في التلفاز أو في التدريس في المدارس الإختلاطية، فإن هذا الداعي بنى دعوته على المعاصي والأمور المحرمة، فلا يبارك الله في دعوته، لأن الله عزوجل لا يحب المعاصي والأمور المحرمة.

**ولهذا؛** كانت دعوة الإخوان المفلسين وغيرهم من أهل البدع لا بركة فيها، وكانت دعوة أهل السنة والجماعة فيها بركة ونفع وخيراً كثيراً للمسلمين، أسأل الله عزوجل أن يبارك لنا في دعوتنا السلفية المبنية على الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رحمهم الله.



الرَّابِعَةَ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَدَى فِيهِ.....

قوله (الرَّابِعَةَ: الصَّبْرُ...): تعريف الصبر في اللغة:

قال العلامة ابن القيم: في "مدارج السالكين" (١٥٥/٢ - ١٥٦):

(١) نقلته بتصريف من رسالة «الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية» للشيخ عبدالسلام بن برجس: (ص ٧).

**والصبر في اللغة:** الحبس والكف. ومنه: قتل فلان صبراً. إذا أمسك وحبس. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط. وحبس اللسان عن الشكوى. وحبس الجوارح عن التشويش. اهـ.

**قلت:** وهذا تعريفه في الشرع. والصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ١- صبر على طاعة الله. ٢- صبر عن معصية الله. ٣- صبر على امتحان الله<sup>(١)</sup>.
  - ٤- زاد شيخ الإسلام مقسماً رابعاً وهو الصبر عن اتباع هوى النفس.
- قال شيخ الإسلام: كما في "مجموع الفتاوى" (٣٩/١٠): ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن يجزع فيها، والصبر عن اتباع النفوس فيما نهى الله عنه. وأدلة الصبر من القرآن كثيرة جداً.
- قال العلامة ابن القيم - "مدارج السالكين" (١٥٢/٢):
- قال الإمام أحمد -: ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً<sup>(٢)</sup>.
- وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان، نصف صبر، ونصف شكر، وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) ذكر هذه الأقسام الثلاثة ابن القيم: في «مدارج السالكين» (١٥٦/٢) وغيره.

(٢) قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٣٩/١٠): وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً. اهـ.

ثم ذكرها بأدلتها فراجعها إن أحببت.

قوله(فيه): هذا معلوم أن الإنسان إذا تعلم وعرف ربه عز وجل ودينه ونبيه ص وعمل بما علم ودعا إلى الله وصدع بالحق، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإنه سيعادى من قبل المخالفين للحق وأهله ومن الحاسدين والحاقدين وغيرهم من أهل الأهواء ويتلى قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

ويتلى الإنسان بقدر دينه كما في حديث سعد بن أبي وقاص أقلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»<sup>(٢)</sup>.

فالأنبياء كانوا أشد بلاء من غيرهم لما في دينهم من قوة وتمسك، وما من رسول أرسله الله إلا كان له أعداء قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

فهذا إبراهيم)؛ أؤدي من قبيل قومه، ومنهم أبوه وألقوه في النار فجعلها الله عز وجل عليه برداً وسلاماً قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩].

(١) في «عدة الصابرين» (١١٥) وما بعدها ذكر اثنان وعشرون نوعاً.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (١٣٩٨)، وابن ماجه رقم (٤٠٢٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٨٥) وغيرهم، وصححه العلامة

الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٣)، وحسنه، والشيخ مقبل في «الصحيح المسند» (١/ ٢٧٣).

وكذلك موسى) أوذي من قبيل فرعون وقومه.

ويوسف) أوذي من قبيل إخوانه ومن امرأة العزيز وزوجها الملك، وألقي في الحب واتهم بمراودة امرأة العزيز وسُجن فصبر حتى فتح الله عليه وبرئت ساحته من التهمة التي اتهم بها وخرج من السجن وأصبح على خزائن الأرض كما أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم.

**وكذلك؛** نبينا محمد ق أوذي من قبيل قومه فكذبوه وأخرجوه من مكة، وضربه حتى سال الدم من وجهه كما في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود <sup>١</sup> قال: «كأنني أنظر إلى النبي ق يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

**وكذلك؛** كسرت رباعية رسول الله ق، وشجَّ حتى سال الدم على وجهه كما في حديث أنس <sup>١</sup> أن رسول الله ق كُسر رباعية يوم أحد وشجَّ رأسه فجعل يمسح الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعية، وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

**وكذلك؛** دميت إصبع رسول الله ق كما في «الصحيحين» عن جندب ابن سفيان قال: دميت إصبع رسول الله ق في بعض تلك المشاهد فقال:  
هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧)، ومسلم برقم (١٧٩٢) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٢)، ومسلم برقم (١٧٩٦).

**وكذلك؛** وضع على كتفي رسول الله ق الجزور وهو ساجد لله عند البيت وجعلوا يتضحكون عليه.

كما في «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه: **بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ق يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ق وَضَعَهُ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضَحَّكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ق، وَالنَّبِيُّ ق سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ، فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوبِرِيَّةٌ، فَطَرَحْتُهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ق صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ... الحديث<sup>(١)</sup>.**

**وكم حصل له من الأذى ق في غزوة أحد؛** ولا يخفى عليكم ما جرى في قصة الإفك، وكذلك قالوا عليه: مجنون وساحر وشاعر وغيرها من الألفاظ القبيحة، **وكذلك؛** قالوا هذه الألفاظ للرسول قبله قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].  
ورماه ذو الخويصرة التميمي الخارجي بعدم العدل فهاذا فعل النبي ص والأنبياء قبله لما أودوا؟

صبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٠)، ومسلم برقم (١٧٩٤)، واللفظ لمسلم.



فعلى الداعية إلى الله أن يصبر ويحتسب ويقتدي بالأنبياء ويجذو حذوهم ويعلم أن الله سيجازيه على دعوته إلى الله وصبره واحتسابه وتمسكه بالحق والصدع به فما أحد دعى إلى الله إلا عودي وأوذي.

لهذا؛ أوصى لقمان ابنه بالصبر بعد الدعوة إلى الله قال الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال ابن كثير في "تفسيره" عند تفسير الآية: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾: علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر. اهـ



والدليل قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ .....

قوله (والدليل): أي: على المراتب الأربع.

قوله (وَالْعَصْرِ): أقسم الله عزوجل بالعصر، وفي تفسيره عدة أقوال: أصحها<sup>(١)</sup>: أنه الدهر<sup>(٢)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: في «تفسيره» والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيها أقسم به جل ثناؤه. اهـ

(٢) قاله ابن عباس، ومال إليه الطبري، ورجحه ابن القيم والشوكاني وغيرهم.

أقسم الله عزوجل به لما فيه من العبر والآيات من مرور الليل والنهار على تقدير الأحوال بترتيب جيد منتظم غير متغير ولا متبدل من حيث تعاقب الظلام والضياء وهذا فيه دلالة على قدرة الله عزوجل وتحكمه في خلقه.

### فائدة:

الله عزوجل يقسم بما شاء من مخلوقاته أقسم بالليل إذا يغشى وبالضحى وبالنازعات وأقسم بالسما والطارق وغيرها ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ولا يجوز لنا أن نقسم إلا بالله عزوجل، لقول النبي ق: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(١)</sup>.

وقوله ق: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»<sup>(٢)</sup> وغيرها من الأدلة.



.....  
 (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ\* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ).....

قوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: هذا جواب القسم، والإنسان هاهنا بمعنى الناس<sup>(٣)</sup>، قوله: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ أي: خسارة وهلاك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٨) ومسلم برقم (١٦٤٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٣٦)، ومسلم برقم (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج..

قال العلامة عبدالرحمن السعدي—في "تيسير الكريم الرحمن" عند تفسير هذه الآية: والخاسر ضد الرابح، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً كحال، من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم واستحق الجحيم، وقد يكون خاسر من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات. اهـ

قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: هذا استثناء من الإنسان إذ هو بمعنى الناس على الصحيح<sup>(١)</sup>، والمعنى: صدقوا الله ورسوله ووجدوا الله.

قوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة المتعلقة بحق الله وحق عباده الواجبة والمستحبة<sup>(٢)</sup>.

قوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أي: أوصى بعضهم بعضاً بأداء الطاعات وترك المحرمات<sup>(٣)</sup>.

قوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي: بالصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله والصبر على أقدار الله المؤلمة.



قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ  
السُّورَةَ لَكَفَّتْهُمْ)

(١) قاله القرطبي في «تفسيره».

(٢) انظر: «تفسير السعدي».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير».

قوله (قَالَ الشَّافِعِيُّ): هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عباس القرشي الشافعي، ولد سنة (١٥٠ هـ) وتوفي سنة (٢٠٤ هـ).

قوله (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ...): هذه العبارة التي ذكرها المصنف (خطأ)، لكن العبارة الصحيحة ما حكاها جماعة من العلماء منهم:

١- ابن كثير قال: في تفسير سورة العصر: وقال الشافعي -: لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية - كما في "مجموع الفتاوى" (١٥٢/٢٨): قال: وروي عن الشافعي أنه قال: لو فكر الناس كلهم في سورة: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ لكفتهم.

٣- وابن القيم -: قال: قال الشافعي: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم<sup>(١)</sup>.

بيان معنى كلام الشافعي ::

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (١٥٢/٢٨): وهو كما قال: فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر. اهـ  
وقال العلامة ابن القيم: :

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٥٦/١) و«التبيان في أقسام القرآن» (ص ٥٤)، و«إغاثة اللهفان» (٣٢/١).

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرَاتِبَ أَرْبَعَةً وَبِاسْتِكْمَالِهَا يَحْصُلُ لِلشَّخْصِ غَايَةَ كَمَالِهِ:

**إحداها: معرفة الحق. الثانية: عمله به.**

**الثالثة: تعليمه من لا يُحْسِنُهُ. الرابعة: صبره على تعلمه وَالْعَمَلِ بِهِ وَتعليمه،**  
فذكر تَعَالَى الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

وَأَقْسَمُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ: أَنْ كُلَّ أَحَدٍ فِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَصَدَّقُوا بِهِ فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَهُمْ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوهُ مِنَ الْحَقِّ فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَصَّى بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ ثَالِثَةٌ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ صَبَرُوا عَلَى الْحَقِّ وَوَصَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالثَّبَاتِ فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ رَابِعَةٌ وَهَذَا نِهَاجُ الْكَمَالِ فَإِنَّ الْكَمَالَ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ كَامِلًا فِي نَفْسِهِ مَكْمَلًا لِغَيْرِهِ وَكَمَالُهُ بِاصْلَاحِ قُوَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ فَاصْلَاحُ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْإِيمَانِ وَاصْلَاحُ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَتَكْمِيلُهُ غَيْرُهُ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ وَتَوْصِيَّتُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَهَذِهِ السُّورَةُ عَلَى اخْتِصَارِهَا هِيَ مِنْ أَجْمَعِ سُورِ الْقُرْآنِ لِلْخَيْرِ بِحِذَائِرِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِتَابَهُ كَافِيًا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ شَافِيًا مِنْ كُلِّ دَاءٍ هَادِيًا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ. اهـ



وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالذَّلِيلُ

قَوْلُهُ تَعَالَى:.....

قوله (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ): هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري.

وهذا الكلام قاله في "صحيحه" كتاب العلم: الباب العاشر، لكن قال بعد الآية: فبدأ بالعلم فقط، وزيادة: قبل القول والعمل هي زيادة من المصنف .:

قوله (قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ): نعم الإنسان يعلم أولاً ثم يبنى الحكم على ما علم فيستدل بالقول ويعمل بالفعل.

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصصح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف (أي: البخاري) على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه<sup>(١)</sup>. اهـ وفيه ردٌ كذلك على جماعة التبليغ الذين يدعون بدون علم.



(فَاعْلَمَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، (اعْلَمْ) رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ: (الأُولَى): أَنْ اللَّهَ خَلَقَنَا.....

قوله (فَاعْلَمْ): فاعلم أمر الله عز وجل نبيه ص وهو متناول لأُمَّته أن يعلم أولاً ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ والاستغفار يكون بالقول والفعل فشمّل الأمرين.

(١) «فتح الباري» (١/٢١١) ط/ دار السلام.

قوله (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ): كان يكفي أن يقول: على كل مسلم، فإن لفظة: مسلم تشمل جنس الذكور والإناث.

قوله (تَعَلَّمْ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ): ذكر في الأول أربع مسائل، وهنا ثلاث مسائل، ولم يقل: سبعة في مرة واحدة لكي يسهل لطالب العلم تناول حفظ هذه المسائل.

قوله (الأولى): من المسائل الثلاث التي يجب علينا تعلمها والعمل بها.

قوله (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا): نعم، الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا وخلق كل شيء وله فيما خلق الحكمة البالغة والنعمة السابغة ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

**والجلس في الأصل بمعنى:** التقدير، ولكنه يطلق على الإيجاد المقرون بالتقدير والتسوية والإحكام والنظام<sup>(١)</sup>. اهـ

والأدلة كثيرة من القرآن على أن الله خلقنا، لكن نذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

(١) «التفسير الثمين» (٤٤٧/١٢) للشيخ العثيمين.

(٢) الجملة هذه اسمية تفيد الثبوت والاستمرار، وأن الله تعالى دائماً وأبداً هو الخالق. «التفسير الثمين» (٤٤٧/١٢).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

قال الشنقيطي: في "أضواء البيان" تفسير الآية رقم (٧٨) من سورة مريم (٤/٣٦٩-٣٧٠): لأنهم إما أن يخلقوا من غير شيء أو يخلقوا أنفسهم أو يخلقهم خالق غير أنفسهم، ولا رابع ألبتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لا شك فيه، فيتعين أن الثالث حق لا شك فيه، وقد حذف في الآية لظهوره.

وقال الشيخ السعدي: في "تفسيره" عند الآية المذكورة:

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد (أي: صدفني)، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم؛ فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهم، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى. اهـ



## وَرَزَقْنَا.....

قوله (وَرَزَقْنَا): قال الرازي: الرزق: ما يتنفع به، والجمع الأرزاق والرِّزق أيضاً العطاء<sup>(١)</sup>. اهـ

قال الشيخ محمد خليل الهراس: "شرح القصيدة النونية" (٢/ ٤٩٠):

والرزق كالخلق، صفة من صفات الفعل، وهو شأن من شئون ربوبيته عز وجل، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] فالأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتقة وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها، فالواجب نسبتها إليه وحده، وشكره عليها، فهو مولياها وواهبها<sup>(٢)</sup>. اهـ

وأدلة أن الله رزقنا من القرآن كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨] وغيرها من الآيات.

(١) «مختار الصحاح» (١٢١) [مادة: رزق].

(٢) [كذا في الأصل والذي يظهر أنه (مولها)].

وأدلة أن الله رزقنا من السنة كثيرة منها: حديث ابن عباس ب مرفوعاً: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولدٌ لم يضره»<sup>(١)</sup>.

وحديث ابن مسعود مرفوعاً، وفيه: «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» الحديث<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الأحاديث.

ورزق الله تعالى نوعان:

(١) عام. (٢) خاص.

قال الشيخ محمد خليل هراس: "شرح القصيدة النونية" (٢/٤٩٠):

ورزقه تعالى لعباده نوعان: عام، وخاص.

• **فالعام:** إيصاله لجميع خلقه كل ما يحتاجون إليه في معاشهم وقيامهم، فيسهل لهم سبيل الأرزاق، ويدبرها في أجسامهم، ويسوق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، فهذا عام للبر والفاجر، والمسلم والكافر، بل للإنس والجن والحيوانات كلها.

وهذا الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ولكن يسمى رزقاً بهذا الاعتبار الذي هو سوقه للأعضاء وهدايتها

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٤) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٣) واللفظ له.



فأقسم بالله جهد اليمين ما خلق الله شيئاً سُدىً<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أي: سدى وباطلاً تأكلون وتشربون وتمرحون وتمتعون بلذات الدنيا، وترككم لا تأمركم ولا ننهاكم ولا نثيبكم ونعاقبكم<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

بل الله عزوجل خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته وحده، قال الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].



فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ.....

قوله (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ): قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، و«فتح القدير» عند تفسير الآية.

(٢) «تفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي» عند الآية.

وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣] وغيرها من الآيات. وقول النبي ق: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »<sup>(١)</sup>.

### فائدة:

قال الشيخ العثيمين: "القول المفيد على كتاب التوحيد" (ص ٥٠) ط/ دار ابن الجوزي: إدخال الجنة ينقسم إلى قسمين:

**الأول:** إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل.

**الثاني:** إدخال ناقص مسبق بعذاب لمن نقص العمل. فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذبه بقدر عمله، وإن شاء لم يعذبه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . اهـ



(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً) [المزمل: ١٥ - ١٦].....

قوله (وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ق: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي مر معنا، وفيه: «ومن عصاني فقد أبى» أي: أبى دخول الجنة، وغيرها من الأدلة.

قوله (وَالذَّلِيلُ): على أن الله لم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولاً.

قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: أي: إلى المكذبين من قريش ويشمل كذلك سائر الناس.

قوله ﴿رَسُولًا﴾: وهو محمد ق خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء.

قوله ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: أي: على أعمالكم من خير وشر.

قوله ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: وهو موسى عليه السلام.

قوله ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾: وهو موسى عليه السلام؛ لأن الألف واللام هنا للعهد الذكري.

قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾: أي: شديداً، قاله ابن عباس وقتادة وغيرهم.



(الثَّانِيَّةُ): أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ لَا مَلَكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) [الجن:

١٨].....

قوله (الثَّانِيَّةُ): من المسائل الثلاثة التي يجب علينا أن نتعلمها ونعمل بها.

قوله (وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ): الله عزوجل لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لأن العبادة تختص بالله عزوجل، فلا يجوز صرفها لغيره ولو كان ملك مقرب جبريل هو أقرب الملائكة لله عزوجل والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم، فلا يجوز أن تصرف شيئاً له مما يختص به الله عزوجل، وكذلك الأنبياء هم أفضل الخلق وأفضلهم على الإطلاق: نبينا محمد ق فلا يجوز ولا يرضى الله عزوجل بأن تصرف شيئاً من العبادة له أو للأنبياء، ومن باب أولى أن الله لا يرضى أن تصرف العبادة لغيرهم من الأصنام والأحجار والأشجار والأوثان والأولياء والصالحين والأموات.

قوله (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: ثم استدلل المؤلف: بقول الله عزوجل: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، المقصود بالمساجد في الآية معنيان:

**المعنى الأول:** المساجد التي يصلى فيها لا يجوز لنا أن نصرف العبادة فيها لغير الله عزوجل.

**المعنى الثاني:** المساجد هي الأعضاء السبعة التي نسجد عليها لا يجوز لنا أن نسجد بها لغير الله عزوجل.

ولفظه (أحد) في الآية: نكرة في سياق النهي تفيد العموم، أي: فلا تدعوا من الله أحد كائن من كان لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا رجل صالح ولا غيرهم.



.....  
**الثالثة:** أَنْ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَحَدَّ اللَّهُ  
 .....

قوله (الثالثة): من المسائل الثلاثة التي يجب علينا أن نتعلمها ونعمل بها.



قوله (أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ): **الطاعة في اللغة:** الانقياد، ضد الكره، قال تعالى: ﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، وقال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

وطاعة الرسول تابعة لطاعة الله عزوجل، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

**فائدة:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (١/ ٦٧ وما بعد): وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن...، ثم ذكر جملة منها. اهـ  
قوله (وَوَحَّدَ اللَّهُ): سيأتي تعريف التوحيد إن شاء الله.



لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.....  
قوله (لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ): **الموالاتة هي:** الموادة والصدقة، والمحبة ضد المعاداة والمحاداة.

قوله (مَنْ حَادَّ اللَّهَ): **والمحاداة:** المعاداة والمخالفة والمشاقة، وهي: أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وأصلها الممانعة، ومنه: الحديد، ومنه الحداد للبوابة.

(١) انظر: «المفردات» و«لسان العرب» و«القاموس المحيط» و«مختار الصحاح» [مادة: طوع].

قوله (وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ): أي: ولو كان من حاد الله ورسوله ابنك، أو أباك أو أخاك، أو عشيرتك، فإن الله قطع التواصل والتوادد والتعاقل والتوارث وغير ذلك من الأحكام، والعلاقات، وقرب الأنساب بين المسلمين والكفار، فإن القرب إنما هو في الحقيقة قرب الدين لا قرب النسب، فالمسلم ولو كان بعيد الدار فهو أخوك في الله، والكافر ولو كان أخاك في النسب فهو عدوك في الدين، وحرام على كل مسلم موالاتهم بل يجب اتخاذهم أعداء وبغضاء<sup>(١)</sup>. اهـ



وَالَّذِينَ يَقُولُ تَعَالَى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.....)

قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُ): على أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له أن يحب ويصادق ويوادي من عادى وخالف الله ورسوله.

قوله ( وَرَسُولُهُ ): قال الشنقيطي - في "أضواء البيان" (٨٢٤ / ٧) عند تفسير الآية: وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِلَفْظِ الْخَيْرِ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِنْشَاءُ، وَهَذَا النَّهْيُ الْبَلِيغُ، وَالزَّجْرُ الْعَظِيمُ عَنِ مَوَالَاةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَإِيرَادُ الْإِنْشَاءِ بِلَفْظِ الْخَيْرِ أَقْوَى وَأَوْكَدُ مِنْ إِيرَادِهِ بِلَفْظِ الْإِنْشَاءِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي مَحَلِّهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أَيُّ يُجْبُونَ وَيُوَالُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. اهـ

(١) من «حاشية ثلاثة الأصول» للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم: (ص ١٩).

قوله (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ُ): قال الألوسي -: وليس المراد بمن ذكر خصوصهم وإنما المراد الأقارب مطلقا، وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا بالمعروف، وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم، وثلت بالأخوان لأنهم الناصرون لهم:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجاء بغير سلاح

وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم والتناصر بهم بعد الإخوان غالباً... الخ<sup>(١)</sup>. اهـ

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهَا وَأُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة: ٢٢]....

قوله (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ُ): يعني: الذين لا يوادون ولا يحبون من حاد الله ورسوله، ومعنى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: جعل وأثبت في قلوبهم الإيمان بتوفيقه.

قوله (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ): أي: قواهم ونصرهم بتوفيق من عنده.

قوله (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا): أي: يدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكين فيها أبد الآبدين.

(١) «روح المعاني» (١٥ / ٥١) ط / دار الفكر، عند تفسير الآية.

قوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ): قال الحافظ ابن كثير : سر بديع، وهو: أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم<sup>(١)</sup>. اهـ

قوله (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ): أي: جنده الذين يمثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أوليائه، وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشریف لهم عظيم وتكريم فخيم<sup>(٢)</sup>. اهـ

قوله (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ُ): هذا تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان، ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]<sup>(٣)</sup>. اهـ

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن مولاة أعداء الله ورسوله ومحبتهم جاء بيانه في آيات كثيرة أخر.

كقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [المتحنة: ٤].

(١) «تفسير ابن كثير» (١٣/٤٦٩) عند تفسير الآية.

(٢) قاله الشوكاني في «فتح القدير» (٥/٢٥٦) عند تفسير الآية.

(٣) قاله ابن كثير في «تفسيره» (١٣/٤٦٩) عند تفسير الآية.

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على هذا الأصل الأصيل والقاعدة العظيمة وهي: الولاء للإسلام وأهله والبراءة من الكفر وأهله.

فتضمنت هذه الآية سبعة مناقب عظيمة، جعلها الله لمن اجتنب موالاته أعداء الله ورسوله:

- \* جعل وتثبيت الإيمان في قلوبهم.
- \* يقويهم وينصرهم.
- \* فلاحهم وسعادتهم في الدارين.
- \* جعلهم من حزب الله وجنوده.
- \* رضي الله عنهم. \* إرضاهم عنه.
- \* إدخالهم الجنة والخلود فيها.



(اعْلَمْ) أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ.....

قوله (اعْلَمْ): سبق بيان تعريف العلم وأقسامه، وأن هذه الكلمة يؤتى بها لتبنيه القارئ على الأمر المهم الذي ينبغي أن يسغى له.

قوله (أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ): هذا دعاء عظيم من المؤلف: للقراء والمستمع وهو أسلوب حسن في الدعوة، يخلل به المؤلف: كتبه.

**والرُّشْدُ والرُّشْدُ فِي اللِّغَةِ:** خلاف الغي، قال تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] <sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم <sup>(٢)</sup>. اهـ. وقال القرطبي: والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشد وهي الصخرة <sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني رحمه الله [مادة: رشد].

(٢) قاله الشيخ السعدي: في تفسير سورة الجن الآية رقم (٢).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/٣١٤) تفسير سورة الحجرات الآية رقم (٧).

والراشدون بحق هم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ  
 فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ  
 وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾  
 [الحجرات: ٧].

فهؤلاء هم الراشدون حق فإنهم أحبوا الإيمان فحبب الله في قلوبهم الإيمان  
 وأهله، وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان وأهله فكرهه إليهم وجعلهم  
 راشدون.

..... أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ .....

قوله (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ): أي: دين إبراهيم عليه السلام، وسمي إبراهيم حنيفاً لأنه  
 حنف أي: مال إلى دين الله وهو الإسلام.

**والحنف في اللغة:** هو الميل ومنه رجلٌ حنفاء، ورجلٌ أحنفٌ وهو الذي تميل  
 قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف:

والله لولا حنْفُ برجله ما كان في فتيانكم من مثله

وقال قوم: الحنْفُ: الاستقامة، فسمي دين إبراهيم حنيفاً لاستقامته، وُسُمي  
 المعوج الرجلين أحنف تفاعلاً بالاستقامة، كما قيل للديغ سليم. اه باختصار<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: في "جلاء الأفهام" (ص ٣٠٦): ومن فسّره (أي: الحنيف) بالمثل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسره بلازم المعنى، فإن الحنف هو

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣٩/٢ - ١٤٠) تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٣٥) وانظر: كذلك «المفردات»

الإقبال، ومن أقبل على شيء مال عن غيره، والحنف في الرجلين هو: إقبال إحداهما على الأخرى ويلزمه ميلها عن جهتها. اهـ

**والحنيف في الشرع هو: المقبل على الله تعالى، المعرض عمَّا سواه.** قاله ابن القيم: <sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير: في "تفسيره" تفسير سورة النحل الآية رقم (١٢٠): الحنيف هو: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد.

..... أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ.....

قوله (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ): أي: تفرد بالعبادة الصحيحة الشرعية التي أمرنا الله بها في قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] والتي خلقنا لأجلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة في اللغة هي: الخضوع والتذلل مع المحبة.

قال العلامة ابن القيم: في "نونيته" (ص ٧٠ ط/ دار ابن الجوزي):

و عبادة الرحمن غاية حُبِّه	مع ذلِّ عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان

وقال: في "مدارج السالكين" (١/ ٧٤): **والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد: التذلل**

(١) «جلاء الأفهام» (ص ٣٠٥-٣٠٦)، وانظر كذلك: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٤).



والخضوع، فمن أحسبته ولم تكن خاضعاً له، لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً<sup>(١)</sup>. اهـ

وأحسن تعريف للعبادة في الشرع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (١٤٩/١٠): **العبادة**: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. اهـ



### مُخْلِصَالَهُ الدِّينَ

قوله (مُخْلِصًا لَهُ): **الإخلاص في اللغة**: ضد الرياء وهو: التنقية والتصفية. قال ابن فارس: (خلص) الخاء واللام والصاد أصل واحد مُطْرَد، وهو: تنقية الشيء وتهذيبه. اهـ المقصود<sup>(٢)</sup>.

**والإخلاص في الشرع هو**: عبادة الله وحده وإرادة وجهه.

وقال الحافظ حكيم: "معارج القبول" (٤٢٣/٢): **الإخلاص هو**: تصفية العمل بصلاح النية عن جميع شوائب الشرك. اهـ

قوله (الدِّينَ): **الدِّين في اللغة يطلو على عدة معانٍ منها**:

الذل، والطاعة، والجزاء، والحساب، والملة، والعبادة، والإسلام<sup>(١)</sup>، **والدِّين في الشرع هو**: كل ما يُدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة. اهـ

(١) وانظر كذلك: «المفردات» و«معجم مقاييس اللغة» و«لسان العرب» و«مختار الصحاح» [مادة: عبد].

(٢) «معجم مقاييس اللغة» وانظر كذلك: «مختار الصحاح» و«المفردات» [مادة: خلص].

قاله عبدالرحمن بن حسن: "فتح المجيد" (ص ٢٨٢).



وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ  
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].....

قوله (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ): كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا  
رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].  
قوله (كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ُ:

قال ابن عطية—: اختلف الناس في معناه [أي: إلا ليعبدون] مع إجماع أهل  
السنة على أن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع؛ لأنه لو أراد ذلك لم يصح  
وقوع الأمر بخلاف إرادته... اه المقصود<sup>(٢)</sup>.

وقال الثعلبي—: وليس هذا على القدر لأنه لو قدر عليهم عبادته لما عصوه ولما  
عبدوا غيره قط، وإنما هو كقوله: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

(١) ذكر الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» [مادة: دين] أكثر من عشرين معنى فراجع.

(٢) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١٥/٢٢٤-٢٢٥) عند تفسير الآية.

تَشْكُرُونَ ﴿ [النحل: ٧٨]، ثم قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]،  
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

**وجه الآية في الجملة:** أن الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار، وإنما خلقه لهم خلق تكليف فمن وفقه وسدده أقام العبادة التي خلق لها ومن خذله وطرده حرماها، وعمل بما خالف نبي الله ق، وقد قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» والله أعلم<sup>(١)</sup>. اهـ

وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُؤَحِّدُونَ.....

قوله (وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُؤَحِّدُونَ): قاله الكلبي، وهذا نصه: المعنى: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر: فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء كما في قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقاله كذلك: الفراء<sup>(٣)</sup>، والبخاري رحمهم الله<sup>(٤)</sup>.

**فائدة:**

العبادة تأتي في القرآن على معنيين:

(١) «الكشف والبيان في تفسير القرآن» (٥/٥٥١) عند تفسير الآية.

(٢) نقل هذا عنه القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» وصديق بن حسن خان في «فتح البيان في مقاصد القرآن» عند تفسير الآية.

(٣) «معاني القرآن» (٣/٨٧)

(٤) في «صحيحه» عند تفسير الآية.

**الأول:** بمعنى التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**الثاني:** بمعنى الطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].



وَأَعْظُمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.....

قوله (وَأَعْظُمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ): نعم أعظم أمرٍ أمر الله به عباده هو التوحيد بل أول أمر يصادفك في القرآن إذا بدأت تقرأ من البقرة هو الأمر بالعبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] أي: وحدوا ربكم. قاله ابن عباس (١).

قوله (وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ): هو أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، وهو الحكمة في خلق الخلق وهو أول واجب يجب على العباد وهو حق الله الواجب على العباد، ولأجله أرسلت الرسل عليهم السلام وأنزلت الكتب وبه تكفر الذنوب وبه تعصم الأموال والدماء، وبه يدخل الجنة وينجى من النار، وأعظم الحسنات وأثقلها في الميزان.

(١) الأثر سنده ضعيف والمعنى صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم (٥٩/١).

**والتوحيد في اللغة:** مصدر وحد يوحد، توحيداً، أي: نسبت إليه الوجدانية.

**وفي الشرع هو:** إفراد الله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، أو تقول: هو إفراد الله عزوجل بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وينقسم توحيد الله إلى ثلاثة أقسام:

(١) **توحيد الربوبية**، وهو: إفراد الله عزوجل بأفعاله، من خلق وملك وتدبير وغيرها.

(٢) **توحيد الألوهية**، وهو: إفراد الله عزوجل بالعبادة، أو تقول: إفراد الله عزوجل بأفعال العباد.

(٣) **توحيد الأسماء والصفات**، وهو: إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو ما أثبتته له نبيه في سنته، ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

**فائدة:**

جمعت أقسام توحيد الله الثلاثة في قول الله عزوجل: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وإذا قيل: كم أقسام التوحيد بدون ذكر لفظ الجلالة: (الله)؟

قل: أربعة أقسام:

١- **توحيد الربوبية.**

٢- **توحيد الألوهية.**

٣- **توحيد الأسماء والصفات.**

٤- **توحيد التابعية.**

أو تقول: باعتبار آخر: أن التوحيد ينقسم من أصله إلى قسمين:

١- توحيد الرُّسُل، وهو: الله، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) توحيد الربوبية. (٢) توحيد الألوهية. (٣) توحيد الأسماء والصفات.

٢- توحيد المرسل، وهو: الرسول، وهو قسم واحد: (١) متابعة النبي ق.

فائدة جليلة:

قال العلامة عبدالعزيز بن باز: كما في "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٧١/٢) جمع الشويعر: فهذه أنواع التوحيد لك أن تعبر عنها بنوعين، ولك أن تعبر عنها بثلاثة أنواع، ولك أن تعبر عنها بنوع واحد كما تقدم فيما ذكرنا آنفا. ولا مشاحة في الاصطلاح والتعبير، وإنما المقصود أن نعرف ما هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو توحيد العبادة. اهـ

تنبيه:

عرف المؤلف التوحيد بإفراد الله بالعبادة، لأن الخصومة فيه وإلا فهو أعم.



وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكَ؛ وَهُوَ دَعْوَةٌ غَيْرِهِ مَعَهُ.....

قوله (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكَ): لأنه أعظم وأقبح ذنب عصي الله به، وأظلم الظلم على الإطلاق، وأضل الضلال وأبعده، وهو الافتراء العظيم في حق الله عزوجل، وهو محبط لجميع الأعمال ومخرج من ملة الإسلام، ومحرم دخول الجنان ومخلد في النار وبئس القرار.

قوله (وَهُوَ دَعْوَةٌ غَيْرُهُ مَعَهُ): **الشرك في اللغة**: يدل على المقارنة وخلاف الإنفرد، ويطلق كذلك على:

- ١- المداخلة.
- ٢- المخالطة.
- ٣- المشاركة.
- ٤- الإلتباس.
- ٥- النصيب.
- ٦- التسوية<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع هو**: تسوية غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله<sup>(٢)</sup>.

وينقسم إلى قسمين: ١- **شرك أكبر**. ٢- **شرك أصغر**. وكل منهما ينقسم إلى جلي وخفي، وتفصيل ذلك كالتالي:

### (١) الشرك الأكبر:

**تعريفه**: هو الذي لا يغفره الله عز وجل إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًا سواء في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة العثيمين: «كما في "فتاواه" (٢/٢٠٢):

**الشرك الأكبر**: وهو كل شرك أطلقه الشارع، وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه. اهـ

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني، و«معجم مقاييس اللغة» و«المعجم الوسيط» و«لسان العرب» و«الصحاح» [مادة: شرك].

(٢) «حاشية كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن قاسم النجدي (ص ١٥)، «التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية» للرشيد (ص ١٢٢).

(٣) نحوه في «مدارج السالكين» (١/٤٥٠).

فمثال الشرك الأكبر الجلي (أي: الظاهر): دعاء الأموات وعبادة الأوثان والأصنام وغيره من الأقوال والأعمال.

ومثال الشرك الأكبر الخفي (أي: الباطن): وهو الذي يكون في القلوب، كشرك المنافقين وريائهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

## (٢) الشرك الأصغر:

**تعريفه:** هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركاً<sup>(١)</sup>. اهـ  
وبنحو هذا عرفه الشيخ السعدي<sup>(٢)</sup>، والشيخ العثيمين<sup>(٣)</sup> رحمهما الله تعالى.  
وكما تقدم؛ أنه ينقسم إلى جلي وخفي.

فمثال الشرك الأصغر الجلي (أي: الظاهر): الحلف بغير الله، كالحلف بالأنبياء والأمانة، والكعبة، وكلبس الحلقة والخيطة وغيرها من الأقوال والأعمال.

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/٧٤٨).

(٢) «القول السديد» (ص ٣٢).

(٣) كما في «فتاواه» (٢/٢٠٤).

فائدة: لم يوجد من المتقدمين من ضبط الشرك الأصغر.



ومثال الشرك الأصغر الخفي (أي: الباطن): كيسيير الرياء، والتصنع للخلق، كالذي يقوم يرأى في صلاته أو صدقته، أو في قراءته للقرآن لقصد أن يمدحه الناس على ذلك وغير ذلك من الأقوال والأعمال.

وبعض أهل العلم يقسمون الشرك إلى ثلاثة أقسام:

(١) شرك أكبر. (٢) شرك أصغر. (٣) شرك خفي.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء:

٣٦].....

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ): أي: وحدوا الله، قاله ابن عباس ب<sup>(١)</sup>، والأمر هنا للوجوب بالإجماع<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا): نكرة في سياق النهي تفيد العموم أي: لا تشركوا بالله نبياً ولا رسولاً ولا ملكاً ولا ولياً ولا صالحاً ولا قريباً ولا بعيداً، وهذا النهي يشمل كذلك أي نوع من أنواع الشرك كبيراً كان أو صغيراً جلياً كان أو خفياً<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم: في «تفسيره» (٩٤٧/٣) وقد سبق معنى أن سنده ضعيف والمعنى صحيح.

(٢) نقل الإجماع العلامة العثيمين: كما في «التفسير الثمين» (١٧٠/٥).

(٣) قال العلامة البياني الشوكاني: في «فتح القدير» (٧٤٢/١) ط/الوفاء، عند تفسير الآية، و﴿شَيْئًا﴾ إما مفعول به، أي:

لا تشركوا به شيئاً من الأشياء من غير فرق بين حي وميت، وجماد وحيوان، وإما مصدر أي: لا تشركوا به شيئاً من

الإشراك من غير فرق بين الشرك الأكبر والأصغر والواضح والخفي. اهـ

**وتسمى هذه الآية:** آية الحقوق العشرة، وسميت بذلك لأنها تضمنت عشرة حقوق، وافتتحت بالأمر بالتوحيد لأنه أول أوجب الواجبات، وقُورن الأمر بالتوحيد بالنهي عن الشرك، لأنه لا تصح عبادة إلا باجتناب الشرك بأنواعه.

قال ابن كثير: في "تفسيره" عند تفسير الآية: يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآيات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته. اهـ المقصود.

فائدة: هذه الآية فيها نفي وإثبات وهما ركنا لا إله إلا الله.

**فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟**

قوله (مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ): الأصل ما بينى عليه غيره، والفرع ما بينى على غيره، ومن ذلك: أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه أغصانها، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

قوله (الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟): أي: يجب على كل مكلف معرفتها والعمل بمقتضاها.

وأورد المؤلف: هذه المسألة بصيغة السؤال لأنها طريقة نبوية كان يسلكها النبي ص في تعليمه أصحابه، كما في «الصحيحين» عن عبدالله بن عمر م عن النبي ص

قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المؤمن فحدثوني ما هي؟»  
الحديث (١).

وكما في حديث معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي ص على حمارة فقال لي:  
«يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله» الحديث متفق  
عليه (٢)، وغيره من الأحاديث.

وأورد هذه المسألة بصيغة السؤال لأجل أن يهتم المخاطب وينتبه لهذا الأمر  
العظيم الذي سيلقى عليه.

وهذه طريقة تعليمية سهلة ترسخ المعلومة، فلا تنسى بسهولة.



فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....

قوله (مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ وَنَبِيَّهُ): جعل المؤلف : هذه الثلاثة أصول  
لأمرين:

**الأول:** لأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعرف هذه الثلاثة الأصول.

**الثاني:** لأنها هي الأصول التي يسأل عنها العبد في قبره، بل مدار هذه الرسالة  
العظيمة كلها على سؤال الملكين في القبر.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١)، ومسلم برقم (٢٨١١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).

ويدل على هذا حديث البراء بن عازب ب قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ق، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ق، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحُنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ق، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ

وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَزَعُّهَا كَمَا يُتَزَعُّ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُوطِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بَاقِبِحِ أَسْمَائِهِ النَّبِيِّ كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُهَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُهَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا

الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُهَا لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ  
كَذَّبَ، فَأَفْرِسُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا،  
وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ  
الثِّيَابِ، مُتْنِنُ الرِّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ،  
فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ:  
رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»<sup>(١)</sup>.

وذكر المصنف : هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد مفصلة أصلاً  
أصلاً، تمييزاً للفائدة، وتنشيطاً للقارئ، فإنه إذا عرفها مجملة وعرف  
ألفاظها، وضبطها، بقي متشوقاً إلى معرفة معانيها، وهي المقصود بهذه النبذة، وما  
تقدمها من المسائل<sup>(٢)</sup> . اهـ



فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّيَ جَمِيعَ  
الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ .....

قوله (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟): أي: إذا سألك سائل، فقال: من ربك؟!

والرب يطلق في اللغة: على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم، ولا يطلق  
غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال مثلاً: رب

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨٧/٤)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٣/٣٨٠)، وأبي داود (٤٧٥٣)، بإسناد حسن، وهو

في «الصحیح المسند» (١/١٢١-١٢٥) للعلامة الوادعي .:

(٢) «حاشية ثلاثة الأصول» (ص ٢٥) للشيخ عبدالرحمن بن قاسم النجدي.

البيت، وربُّ الناقة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] <sup>(١)</sup>.

قوله (قُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّنَا وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ): هذا جواب من المؤلف: عن السؤال المطروح، وهو جواب واضح مفيد، فالله هو الذي خلقنا من عدم ثم أوجدنا بعد أن لم نكن شيئاً من تراب ثم من نطفة ثم من علقة مخلقة ثم من مضغة وأمر الملك فنفخ فينا الروح، ثم تولى شأننا سبحانه وتعالى فربانا وحفظنا بحفظه ورعانا برعايته وكل هذا من نعمه الكثيرة العظيمة التي لا تحصى.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و[النحل: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣] وغير ذلك من الآيات. وهذا فيه إشارة من المؤلف: أن الرب مأخوذ من التربية.



وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: ٢].....

قوله (وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ): هذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

(١) انظر: «النهاية» لابن الأثير، و«مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني [مادة: رب].

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وغير ذلك من الأدلة.

فالذي خلقك وأمرك بالعبادة وأمرك بالصبر والاصطبار عليها هو معبودك ليس لك معبود سواه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا عبد صالح، فهو سبحانه المستحق للعبادة وحده.

قوله: وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ): استدلال المؤلف - بهذه الآية على أن الرب هو رب الجميع وهو المنعم عليهم وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وهذه آية عظيمة الشأن ولهذا كانت هذه الآية أول القرآن في المصحف بعد البسملة.

وهي آخر دعوات أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وهي التي افتتح الله بها الخلق كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وهي التي ختم بها الخلق كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].



والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها. اه قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: (١).

وقال ابن القيم: "بدائع الفوائد" (٢/٩٣): فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. اه

قوله تعالى: (رَبِّ الْعَالَمِينَ):

قال العلامة ابن القيم: "الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة" (٤/١٢٢٣): وربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن يخلق ويرزق ويميت ويحيى، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكوته. اه



وكل ما سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، (فَإِذَا قِيلَ لَكَ): بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ

قوله (وكل ما سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ): هذا التفسير الذي ذكره المؤلف: هو أحسن تفسير لهذه الآية ﴿العالمين﴾ وهو تفسير قتادة وترجيح القرطبي: وغيره.

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٣٧٨/٨) وتام كلامه: فلو أخبر نخب بمحاسن غيره من غير محبة لها لم يكن حامداً ولو أحبها،

ولم ينخب بها لم يكن حامداً. اه

قال القرطبي-: قوله تعالى: ﴿العالمين﴾ اختلف أهل التأويل في ﴿العالمين﴾ اختلافاً كثيراً، فقال قتادة: العالمون جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه مثل: رهط وقوم.

ثم حكى أقوالاً أخرى، وذكر أدلتها، ثم قال: والقول الأول أصح هذه الأقوال، لأنه شامل لكل مخلوق وموجود، دليله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤]، ثم هو مأخوذ من العَلَم والعلامة، لأنه يدل على موجوده، كذا قال الزجاج، قال: العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>. اهـ

قوله (وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ): أي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب: واحد من ذلك العالم الذي هو سوى الله.

قوله ((فَإِذَا قِيلَ لَكَ): بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟): أي: إذا سألك سائل فقال: أنت قلت ربي الله، فيما عرفت ربك.

قوله (فَقُلْ): بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ): مر بنا في أول الرسالة أن الله يعرف بثلاثة أشياء:

- ١- يعرف الله عزوجل بالفطرة.
- ٢- ويعرف الله عزوجل بالنظر في آياته الشرعية وهي الكتاب والسنة.
- ٣- ويعرف الله عزوجل بالنظر في آياته الكونية وهي: مخلوقاته.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» عند تفسير الآية.

والآيات جمع آية، والآية هي العلامة، والمخلوقات: جمع مخلوق وهو ما أوجد بعد العدم.



وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ  
السَّمَاوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا  
بَيْنَهُمَا.....

قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ): أي: من أعظم آيات الله  
المشاهدة بالعين: الليل والنهار والشمس والقمر.

قوله (وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا  
بَيْنَهُمَا): أي: ومن أعظم مخلوقات الله المشاهدة بالعين: السماوات السبع  
والأرضون السبع وما بينهما من مخلوقات، كالإنسان والجان والحيوان والأشجار  
والبحار والجبال ... وغيرها من المخلوقات العظيمة التي لا يستطيع حصرها  
والتي تدل على وجود خالقٍ رازقٍ مدبرٍ لأمرها.

**والدليل على أن السماوات سبعٌ** **من القرآن:** قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ  
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ  
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾  
[الطلاق: ١٢].

**والدليل من السنة:** حديث عبدالله بن عمرو<sup>١</sup>، عن النبي ق قال: «إن نبي  
الله نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية: أمرك  
بائنين، وأنهاك عن اثنين: أمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين

السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله» الحديث<sup>(١)</sup> وغيره من الأحاديث.

أما الأدلة من القرآن على أن الأرضين سبع لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وهذا ليس بصريح.

أما الأدلة من السنة على أن الأرضين سبع فهي صريحة، كما في حديث عبد الله بن عمرو الذي مر بنا وفيه: «فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله» الحديث.

وكما في حديث عائشة لك قالت: قال رسول الله ق: «من ظلم قيد شبر من الأرض، طوقه من سبع أرضين»<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الأدلة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [فصلت: ٣٧].....

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على معرفة الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ): قال العلامة ابن كثير: في تفسيره " عند تفسير الآية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أَي: أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْلَ بِظُلَامِهِ، وَالنَّهَارَ بِضِيائِهِ، وَهُمَا مُتَعَاقِبَانِ لَا يَقْرَانِ، وَالشَّمْسُ وَنُورُهَا

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٠/٢) وغيره وهو صحيح، وهو في «الصحيح المسند» (١/٦٢٤) رقم (٨٠١) للعلامة الوادعي.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢) عن عائشة، وجاء نحوه في البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم

(١٦١٠) عن سعيد بن زيد، وجاء في البخاري كذلك (٢٤٥٤) عن ابن عمر، وجاء في مسلم (١٦١١) عن أبي هريرة

رضي الله عنهم أجمعين.

وإِشْرَاقَهَا، وَالْقَمَرَ وَضِيَاءَهُ وَتَقْدِيرَ مَنَازِلِهِ فِي فَلَكِهِ، وَاخْتِلَافَ سَيْرِهِ فِي سَمَائِهِ، لِيُعْرَفَ بِاخْتِلَافِ سَيْرِهِ وَسَيْرِ الشَّمْسِ مَقَادِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْجُمُعَ وَالشُّهُورَ وَالْأَعْوَامَ، وَيَتَبَيَّنُ بِذَلِكَ حُلُولُ الْحُقُوقِ، وَأَوْقَاتُ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ أَحْسَنَ الْأَجْرَامِ الْمُشَاهِدَةَ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ، نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَانِ عَبْدَانِ مِنْ عِبِيدِهِ، تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ، فَقَالَ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أَي: وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فَمَا تَنْفَعُكُمْ عِبَادَتُكُمْ لَهُ مَعَ عِبَادَتِكُمْ لِغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. اهـ



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.....

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ): الله عزوجل هو الذي خلق العالم سماواته وأراضيه وما بينهما في ستة أيام، ولو شاء الله عزوجل خلقهما في لحظة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي: تعب، ولكنه ربط المسببات بأسبابها، فالله الحكمة البالغة في ذلك والحجة الدامغة.

قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ): أي: استواء يليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وثبت عن مالك أنه قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة<sup>(١)</sup>، وبهذا أجمع السلف.

(١) صحيح إلى مالك: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٤-٣٠٥/٢) من طريق عبدالله بن وهب ويحيى بن يحيى، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٣٩٨)، والصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٢٥) وغيرهم من طريق جعفر بن عبدالله، وجاء من طريق غيرهم. قال الذهبي في «العلو» (ص ١٠٤): وروى يحيى بن يحيى التيمي، وجعفر بن عبدالله وطائفة قالوا: جاء رجل إلى مالك وذكره، ثم قال: وهذا ثابت عن مالك، وتقدم بنحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/٥٠٠): وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب قال: كنا عند مالك؛ فذكره. اهـ فالأثر صحيح إلى مالك بمجموع طرقه، والله أعلم، وقد ثبت نحوه عن شيخه ربيعة بن أبي عبدالرحمن: أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٨) بإسناد صحيح. وأخرجه كذلك اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٣٠٦) وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥) بعد أن ذكر أثر مالك: ومثل هذا القول ثابت عن ربيعة شيخ مالك. اهـ وروى نحوه هذا القول عن أم سلمة رضي الله عنها: أخرجه اللالكائي (٣/٣٩٧)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٢٤)، والذهبي في «العلو» (ص ٦٥) وإسناده ضعيف جدًا.

ويأتي معنى الاستواء في اللغة على أربعة معانٍ:

١- علا. ٢- ارتفع. ٣- صعد. ٤- استقر.

ذكرها العلامة ابن القيم: في "نونيته" (ص ١١٤) ط/ دار ابن الجوزي فقال:

فلهم عبارات عليهم أربع قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره أدري من الجهمي بالقرآن

وعلى هذا تدور تفسير السلف رحمهم الله.

**والعرسه في اللغة هو:** سرير الملك<sup>(١)</sup>، وهو أعظم وأوسع المخلوقات وهو

سقف الجنة.



( يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ) [الأعراف: ٥٤].....

قوله تعالى (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا): أي: يذهب ظلام هذا بضياء

هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا أي: سريعًا لا

قال الذهبي رحمه الله عقب ذكره: وهذا القول محفوظ عن جماعة، كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر

الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح، لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد أن ذكر جواب مالك في الاستواء: وقد روي

هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. اهـ

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري، و«غريب القرآن» (ص ٣٣٥) لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني [مادة: عرش].

يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا، كقوله: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: أي: لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره لا واسطة بينهما<sup>(١)</sup>. اهـ



..... )  
**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ هَآلِهِآلِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَآللهُ بِآلِعَالَمِينَ** [الأعراف: ٥٤].....

قوله تعالى (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِه): أي: الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيتته.

قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ): قال العلامة الفوزان حفظه الله: ألا: أداة تنبيه وتقرير. له: سبحانه وتعالى لا لغيره.

(١) من «تفسير ابن كثير رحمه الله» عند تفسير هذه الآية.



**الخلق:** وهو الإيجاد، فهو القادر على الخلق إذا أراد سبحانه وتعالى يخلق ما شاء.

**والأمر:** أمره سبحانه وتعالى، وهو كلامه سبحانه وتعالى الكوني والشرعي.

**أمره الكوني:** الذي يأمر به المخلوقات فتطيعه وتستجيب له مثل قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. أمرهما سبحانه، وهذا أمر كوني أمر به السماوات والأرض فتكونت ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] هذا أمر كوني.

**أما الأمر الشرعي:** فهو وحيه المنزل الذي يأمر به عباده، يأمرهم بعبادته، يأمرهم بالصلاة، يأمرهم بالزكاة، يأمرهم ببر الوالدين، هذا أمره الشرعي يدخل فيه الأوامر والنواهي التي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، هذا من أمر الله سبحانه وتعالى، إذا كان له الخلق والأمر فماذا بقي لغيره سبحانه وتعالى. [قلت: بقيت عبادته وطاعته] <sup>(١)</sup>. اهـ

قوله تعالى (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ): أي: تعالى وتعظيم وكثرت بركته، والبركة مأخوذة من برك، **وتطلق في اللغة على معنيين:**

**أحدها:** ثبوت الخير ولزومه.

**والثاني:** كثرة الخير ودوامه، أو تقول: الزيادة والنماء. ولا منافاة بين المعنيين، فتكون البركة معناها: ثبوت الشيء وكثرة الخير فيه ودوامه على صاحبه.

(١) من «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١١٦).

وفي الشرع: هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء<sup>(١)</sup>.

فائدة:

قال العلامة ابن القيم: وأما صفته تبارك فمختصة به تعالى كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاضم ونحوهما. اهـ.



وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا).....

قوله (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ): أي من معاني الرب المعبود، فكما يطلق عليه الخالق والرزاق والمدير يطلق عليه المعبود ومعنى المعبود المألوه المستحق أن يعبد وحده دون من سواه.

(١) راجع: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٢٩٤)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٣٣٠)، و«لسان العرب» لابن منظور (١/ ٣٨٦)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (١١٩)، و«النهاية» لابن الأثير [مادة: برك]، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢٣٣)، ولابن القيم رحمه الله بحثًا جيدًا في «جلاء الأفهام» (٣٤٧ وما بعد)، وكذلك «بدائع الفوائد» (٢/ ٦٨١).

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي الدليل على أن الرب هو الذي يستحق العبادة.

قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ): هذا نداء وخطاب من الله عام لجميع الناس من المؤمنين والكافرين.

قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ): أي وحدوا ربكم قاله ابن عباس P

وهذا أول أمر يصادفك في القرآن الكريم إذا ابتدأت من أوله إلى آخره كما أن أول فعلي يصادفك في القرآن هو (اعبدوا) كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] كما أن أول دعوت الرسل هو أمرهم أقوامهم بهذه الكلمة من أولهم إلى آخرهم قال تعالى عن أول رسول أرسله إلى الأرض: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهكذا أخبر الله عز وجل عن عدة من الرسل أنهم يقولون لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ كما في سورة الأعراف، وهذه هي الكلمة التي خاصمت الرسل أقوامهم لأجلها وبُعِثت لأجلها...

قوله (الَّذِي خَلَقَكُمْ): أي أوجدكم من عدم.

قوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ): أي وخلق الذين من قبلكم (وهذا من نعمه سبحانه وتعالى علينا وعلى الذين من قبلنا).

قوله (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): أي لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وإفرادكم له العبادة لتتقوا سخطه وعضبه أن يحل عليكم، وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم. اهـ

قاله أبو جعفر ابن جرير الطبري - .

قوله (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا): أي مهاداً تُوطأ، وقراراً يُستقر عليها، وهذا من حكمته سبحانه وتعالى أنه جعل الأرض فراشاً؛ إذ لو جعلها خشنة صلبة لا يمكن أن يستقر الإنسان عليها وما هداً لأحدٍ بال.



وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

لَكُمْ.....

قوله (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً): أي: جعلها سقفاً قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وسميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء.



(وَأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ) الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ،  
وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرَّغْبَةُ،  
وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِسْتِعَاذَةُ،  
وَالْإِسْتِغَاثَةُ وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا  
(كُلُّهَا لِلَّهِ)، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ  
أَحَدًا) [الجن: ١٨] فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ  
كَافِرٌ.....

قوله (وَمِنْهُ الدُّعَاءُ): أي من أنواع العبادة .

قوله (كُلُّهَا لِلَّهِ): ذكر المؤلف رحمه الله جملة طيبة من أنواع العبادة التي لا يجوز  
صرفها لغير الله، والتي أمر الله بها، وأنواع العبادة كثيرة كما مر بنا تعريف شيخ  
الإسلام: **أَنَّهُ قَالَ: (العبادة):** هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من  
الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. اهـ

ولكن ذكر المؤلف أعظمها إشارة إلى ما عداها، وسيذكر بعدها كل واحدة  
منها بدليلها.

قوله (وَالدَّلِيلُ): على أنه لا يجوز صرفها لغير الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا): مر معنى تفسير

هذه الآية فلا داعي إلى تكرارها.

قوله (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ): أي: من صرف

شيئاً من أنواع العبادة التي ذكرها المؤلف رحمه الله من الرغبة والرهبة والخشية

والتوكل وغيرها لغير الله فهو مشرك أي الشرك الأكبر المخرج من الملة الإسلامية وكافر الكفر الأكبر المخرج من الملة.

لأن هناك قاعدة في توحيد العبادة ذكرها العلماء<sup>(١)</sup>: أي فعل كان عبادة فصرفه

لغير الله شرك. اهـ

• **مسألة:** بعض العلماء يفرق بين المشرك والكافر وبعضهم لا يفرق بينهم.

سئل العلامة الفوزان حفظه الله: ما هو الفرق بين الكافرين والمشركين؟

• **فأجاب:** بينهما عموم وخصوص، والشرك أعم من الكفر، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركاً، فالمشرك يعبد الله ويعبد غيره، وأما الكافر فإنه يجحد وجود الله جلا وعلا ولا يعترف بالله عز وجل، ولا يعترف بدين من الأديان، هذا هو الكافر الجاحد، أما المشرك فهو يعترف، ويعتقد، ولكن يعبد الله ويعبد غيره، فهو مشرك كافر، فكل مشرك فإنه كافر، وليس كل كافر يكون مشركاً؛ لأن الكافر قد يكون ملحداً جاحداً<sup>(٢)</sup>. اهـ

• • •

وَالدَّالِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون]:

[١١٧].....

(١) ذكر هذه القاعدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل كتاب التوحيد في باب من الشرك النذر لغير الله.

(٢) «أسئلة نواقض الإسلام ضمن سلسلة شرح الرسائل» (ص ٢٣٩).

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي الدليل على أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك كافر.

قوله تعالى (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ): أي يعبد مع الله أو يعبد وحده، وهذا توعد من الله لمن أشرك معه غيره.

قوله تعالى (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ): لا حجة له عليه ولا دليل على قوله ولا بينة.

وقوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة ليس لها مفهوم، فلا يفهم أنه هناك إلهاً آخر مع الله له برهان.

قوله (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ): أي الله يعاقبه ويحاسبه على ذلك.

قوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ): أي: يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجات من عذاب الله، وهذه الآية من أوضح الآيات أنه من دعا مع الله إلهاً آخر فإنه لا فلاح له وأنه كافر بالله عز وجل؛ لأنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.



..... وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ» .....

قوله (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ»): الحديث ضعيف بهذا اللفظ<sup>(١)</sup>.

**ودعاء العبادة:** هو ما يشمل أي نوع من أنواع العبادة كالصلاة والصيام والزكاة ما لم يكن فيه سؤال ولا طلب، بل يتضمن الخوف والرجاء.

(١) ضعيف بهذا اللفظ أخرجه الترمذي في كتاب الدعاء رقم (٣٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيها علتان:

أحدها: في سنده عبد الله بن لهيعة ضعيف.

وهذا صرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية بخلاف دعاء المسألة فقد يكون جائزاً كأن يدعو الحي بما يقدر عليه مثل: يا فلان اسقني.  
فائدة: العلاقة بين دعاء العبادة ودعاء المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. اهـ

فإذا قمت فصلية مثلاً هذا دعاء عبادة، وهو يلزم من هذا أنك تسأل الله سبحانه وتعالى؛ لأنك فعلت هذه العبادة الجليلة والطاعة العظيمة من أجل طلب الرحمة والمغفرة وغير ذلك.

وإذا سألت الله أن يرحمك مثلاً هذا دعاء مسألة، وهو يتضمن منك دعاء العبادة لما فيه من الخضوع والتذلل والرجاء وغير ذلك بمعنى أن دعاء العبادة داخل في دعاء المسألة، فالذي يسأل الله حوائجه يتضمن هذا أنه يعبد الله بذلك<sup>(١)</sup>.



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠].

(١) راجع لهذه المسألة والذي قبلها مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١)، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٢٦٨)،

وشرح كشف الشبهات (ص ٢٧) للعلامة العثيمين رحمه الله.



قوله (وَالدَّلِيلُ): أي الدليل على أن الدعاء هو العبادة.  
 قوله (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ): قال العلامة ابن كثير رحمه الله في  
 (تفسيره) عند تفسير الآية المذكورة: هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه؛ أنه ندب  
 عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة.  
 وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٥/١٢): "فالدعاء  
 (هنا) يتضمن النوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر... ويفسر الدعاء في الآية بهذا  
 هذا. اهـ

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي): أي: عن دعائي وتوحيدي،  
 فجعل الدعاء هو العبادة، وهذا هو الشاهد من الآية.  
 قوله تعالى (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ): أي: صاغرين حاقرين ذليلين، وهذا  
 وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، وأنه عبادة فصرها لغير الله شرك أكبر.



### وَدَلِيلًا لِّلْخَوْفِ.....

قوله (وَدَّلِيلُ): أي: والدليل على أن الخوف من العبادة.  
 قوله (الْخَوْفِ): الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها وهو أجمع أنواع  
 العبادة القلبية التي أمر الله سبحانه بإخلاصها له قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ  
 وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ووعد سبحانه من حقق مقام  
 الخوف منه بجننتين، فقال تعالى: ﴿وَلَنُ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن:  
 ٤٦].

وأثنى على الملائكة بأنهم يخافون ربهم من فوقهم فقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وغير ذلك من الآيات في القرآن كثير<sup>(١)</sup>.

**والخوف في اللغة:** مصدر خاف يخاف خوفاً وهو الفزع والدُّعْر، ضد الأمان.

**وفي الشرع:** توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، قاله الجرجاني<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: الخوف توقع مكروه عن أمانة مظنونة، أو معلومة<sup>(٣)</sup>. اهـ

وينقسم الخوف إلى أربعة أقسام:

• **أحدها:** خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله من وثن، أو طاغوت أن يصيبه بما يكره. وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

• **الثاني:** أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفاً من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد.

• **الثالث:** الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدوٍّ، أو سُبُع، أو غير ذلك؛ فهذا خوف (جبلي) لا يذم عليه العبد، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

(١) انظر فتح المجيد (ص ٥٤٤)، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٦٣).

(٢) في التعريفات (ص ١٠١).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٠٣).

## فائدة:

قال الشيخ محمد بن خليل الهراس—في كتابه ”دعوة التوحيد“ (٤٧-٤٨):... ولكن ينبغي ألا يفهم من كون الخوف عبادة أن كل خوف من غير الله يكون شركاً؛ فإن هناك خوفاً جبلياً يقع في النفس عند توقع خطر على الحياة، أو تعرض لألم أو نحو ذلك وقد خاف الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم أكمل الناس توحيداً؛ ... ثم ذكر جملة من الرسل وقعوا في هذا الخوف منهم موسى وإبراهيم وداود عليهم الصلاة والسلام. اهـ

• **الرابع:** خوف العبادة، أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية<sup>(١)</sup>.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.....

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ):

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (١٧٦/١) ط/المكتب الإسلامي: فكلما قوي إيمان العبد؛ زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم. اهـ

وقال—”طريق المهجرتين“ (٤٦٥-٤٦٦) ط/ دار ابن القيم: فجعل الخوف منه شرطاً في تحقيق الإيـان ... والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافوني ... **والقصود:** أن الخوف من لوازم الإيـان وموجباته فلا يختلف عنه. اهـ

(١) ذكر أقسام الخوف الثلاثة: عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد (ص ٥٤٥-٥٤٧)، وزاد غيره من العلماء القسم الرابع.

## فائدة جليّة:

قال العلامة ابن القيم- "مدارج السالكين" (١/ ٥١٤):

**والخوف المحمود الصادق:** ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

وقال-: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية (قدس الله روحه) يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله. اهـ



.....  
 ودليل الرجاء.....  
 .....

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على أن الرجاء من أنواع العبادة.

قوله (الرجاء): الرجاء من أجل العبادة القلبية التي لا يجوز صرفها لغير الله، و صرفها لغير الله شرك أكبر. والرجاء في اللغة: هو الأمل ضد اليأس. وفي الشرع: هو توقع حصول ما فيه مسرة في المستقبل، ويستعمل بمعنى الخوف كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرْتَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] معناه: تخفون.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] معناه: ما لكم لا تخفون عظمة الله<sup>(١)</sup>.



(١) انظر النهاية، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، ومختار الصحاح، والتعريفات وغيره مادة (رجا)، وكذلك روح

المعاني للألوسي عند تفسير الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف:

.....[١١٠]

قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ): أي: ثوابه وجزاه الصالح قاله ابن كثير رحمه الله<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا): هو ما كان موافقاً لشرع الله.

قوله تعالى: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا): أي: لا يجعل مع الله شريكاً في هذه العبادة القلبية وهي الرجاء ولا في غيرها من العبادات؛ لأن العبادة صرفها كلها أو شيء منها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية ولفظ (أحداً) نكرة في سياق النفي يفيد العموم، أي: كل مدعو من دون الله لا يجوز صرف العبادة له، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فائدة:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢ / ٤٤ - ٤٥):

**والرجاء ثلاثة أنواع:**

نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

**فالأولان:** رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها. فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

(١) في تفسيره عند الآية المذكورة.

**والتالت:** رجل متماد في التفریط والخطايا. يرجو رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. اهـ



### وَدَلِيلًا تَوَكَّلَ

قوله (وَدَلِيلًا): أي: الدليل على أن التوكل من أنواع العبادة. قوله (التوكل): التوكل من أجل وأجمع أنواع العبادات القلبية وأعظمها وهو نصف الدين، وهو فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ فبكمالها يحصل كمال التوحيد بأقسامه، وبضعفه يحصل الضعف في أقسام التوحيد.

**والتوكل في اللغة:** قال ابن الأثير - يُقَالُ: تَوَكَّلَ بِالْأَمْرِ، إِذَا ضَمِنَ الْقِيَامَ بِهِ، وَوَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ: أَيِ الْجَأْتِهِ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ. وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا اسْتَكْفَاهُ أَمْرَهُ ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ، أَوْ عَجَزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ نَفْسِهِ<sup>(١)</sup>. اهـ

**وفي الشرع:** هو صدق الاعتماد على الله عزوجل في جلب المنافع ودفع المضار مع اتخاذ الأسباب الشرعية المؤذون بها شرعاً. والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

• **الأول:** التوكل على الله تعالى: توكل عبادة وخضوع وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(١) النهاية (مادة وكل)، وانظر كذلك معجم مقاييس اللغة، والقاموس المحيط، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن

• **الثاني:** التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذي يتوكل على الأموات والغائبين في جلب النفع أو دفع الضر من غفران الذنوب والشفاعة وغيرها، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

• **الثالث:** التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان، ونحوهم فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى، ونحو ذلك؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر الخفي. إذا علق قلبه بهذا الشخص، أما إذا اعتمد على أنه سبب ولم يعلق قلبه به، فإنه ليس بشرك لا أصغر ولا أكبر، وهذا لا بأس به إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

### تنبيه:

التوكل غير التوكيل؛ لأن التوكل عبادة جليلة لا يجوز صرفها لغير الله بخلاف التوكيل، فإن الوكالة هي أن توكل أحداً ينوبك في فعل يقدر عليه وتجوز فيه النيابة، كأن توكل أحداً في بيع بيت أو شرائه مع توكلك على الله في تسيير هذا الأمر الذي وكلت به غيرك ولا تتوكل عليه فيه، والوكالة جائزة بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧] ووكل النبي ق علي بن أبي طالب أن يذبح ما بقي من هديه في حجة الوداع<sup>(١)</sup>، ووكل أبا هريرة على الصدقة<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) ضمن حديث طويل عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٣١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول (ص ٥٩): وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة. اهـ

### قاعدة جليلة في التوكل:

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٢/١١٦): وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب؛ فلا يصلح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. اهـ

وقال رحمه الله في "مدارج السالكين" (٢/١٢٠): فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل. ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها؛ فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها. وحال بدنه قيامه بها. فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه. والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره. فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل. ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية. والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ  
وقال:-

فمنع الأسباب أن تكون أسباباً قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل، والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال، والله أعلم<sup>(١)</sup>. اهـ

(١) طريق المجرئين (٣٢٣) ط/ دار مكتبة الحياة، وانظر كذلك مجموع الفتاوى (١٠/٣٥).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]،  
وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].....

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ): قال العلامة ابن القيم -  
في "طريق الهجرتين" (٣١٨) ط/مكتبة الحياة: فجعل التوكل (أي: على الله)  
شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل. اهـ  
قوله تَعَالَى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ): أي: كافيه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٩-٢٤٠) ط/ دار الكتاب  
العربي: ... فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه  
ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ  
منه مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في  
الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه قالبعض  
السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه  
نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يقل نوته كذا  
وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه  
وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله وكادته السموات  
والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجا من ذلك وكفاه ونصره. اهـ

## وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ.....

قوله (دَلِيلُ): أي: والدليل على أن الرغبة والرغبة والخشوع من أنواع العبادة، بل هذه الأنواع الثلاثة من أجل العبادات القلبية التي ينبغي للمؤمنين التحلي بها، وعدم صرفها لغير الله؛ لأن صرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

قوله (الرَّغْبَةُ): **الرغبة في اللغة:** هي السؤال والطلب والطمع والابتهاال والتضرع<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه<sup>(٢)</sup>.

قوله (وَالرَّهْبَةُ): الرهبة في اللغة: هي الخوف والفرع.

قال أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله: الرء والهء والبء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة<sup>(٣)</sup>. اهـ

**وفي الشرع:** هي الإمعان في الهرب من المكروه قاله ابن القيم<sup>(٤)</sup>.

قوله (وَالْخُشُوعِ): **الخشوع في اللغة:** هو التظامن والتذلل والسكون، وهو قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والصوت والبصر قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر النهاية، ولسان العرب، ومقاييس اللغة، والقاموس المحيط (مادة رغب).

(٢) مدارج السالكين (١/٥١٢).

(٣) مقاييس اللغة، وانظر النهاية والمفردات، ولسان العرب، والقاموس المحيط (مادة ذهب).

(٤) «مدارج السالكين» (١/٥١٢).

(٥) من «مدارج السالكين» (١/٥١٢).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والخشوع في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون، قال تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي: سكنت وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال رحمه الله "مدارج السالكين" (١/ ٥٢٢): والحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة، والذل والانكسار. اهـ

**وفي الشرح:** هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل.  
**وقيل:** الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب<sup>(١)</sup>.  
فائدة:

محل الخشوع وعلامته:

والخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره، ومن علاماته: أن العبد إذا خولف وردَّ عليه بالحق، استقبل ذلك بالقبول والانقياد<sup>(٢)</sup>.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .....

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ): قال المفسر الكبير ابن كثير— في تفسيره عند تفسير الآية: أي: في عمل القربات وفعل الطاعات.  
قوله تَعَالَى: (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ): أي: متواضعين متذلين خائفين.



(١) مدارج السالكين (١/ ٥٢١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٢١).

وَدَلِيلًا لِحُشْيَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ.....

قوله (وَدَلِيلٌ): أي: والدليل على أن الخشية من أنواع العبادة.

قوله (الْحُشْيَةُ): الخشية من أعظم وأجل العبادات القلبية التي أمر الله بها قال

تعالى: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ

وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾

[لقمان: ٣٣] وجعلها الله مرتبة للعلماء فقال: ﴿إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأثنى على عباده الذين اتصفوا بها فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ

مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

**والخشية في اللغة:** هي الخوف والدُّعْر<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** هي خوف يشوبه تعظيم<sup>(٢)</sup>.

والخشية أخص من الخوف.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله "مدارج السالكين" (١/٥١٢-٥١٣):

**والخشية؛** أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَحْشَى

اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي ق:

«إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية»<sup>(٣)</sup>.

(١) مقييس اللغة (مادة خشي).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (مادة خشي).

(٣) هذا قطعة من حديث عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه أخرجه مسلم برقم (١١٠٨) ولكن لفظ الحديث: «أما والله إني

لأتقاكم لله وأخشاكم له».

فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسييل ونحو ذلك له حالتان:

- **إحدهما:** حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.
  - **والثانية:** سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه؛ فيه وهي الخشية.
- ... فصاحب الخوف: يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم. اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: فهي أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية. اهـ

وأقسام الخشية مثل أقسام الخوف وقد مرت بنا فجدد بها العهد.



وَإِخْشَونِي ﴿البقرة: ١٥٠﴾ وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ.....

قوله تعالى (وَإِخْشَونِي): أي: لا تخشوا شبه الظلمة المتعتين، وأفرد والخشية لي؛ فإنه تعالى هو أهل أن يخشى منه<sup>(١)</sup>. اهـ

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن الإنابة من أنواع العبادة.

قوله (الْإِنَابَةُ): الإنابة من أعظم وأجل العبادات القلبية فقد أمر الله تعالى بها في كتابه فقال: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤]، وأثنى على خليله إبراهيم عليه السلام بها فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ٦٠-٦١).

وأخبر الله تعالى أن البشرى منه إنما هي لأهل الإنابة فقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧].

وأخبر أن ثوابه وجنته لأهل الخشية والإنابة فقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿ [ق: ٣١ - ٣٤]، والإنابة في اللغة: هي الرجوع قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣١] أي: راجعين<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/٤٣٤): وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم. اهـ

**وفي الشرع:** هي الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة وإخلاص العمل<sup>(٢)</sup>. اهـ  
أقسام الإنابة:

تنقسم الإنابة إلى قسمين؛ ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/٤٣٤) فقال:

**والإنابة إنابتان: إنابة لربوبيته، وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣] فهذا عام في حق كل داع أصابه ضرر، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالى في حق**

(١) انظر النهاية، ومقاييس اللغة، ولسان العرب، ومدارج السالكين (١/٤٣٤) (مادة نوب).

(٢) قاله الراغب الأصفهاني في المفردات (مادة نوب).

هؤلاء: ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ [الروم: ٣٣] فهذا حالهم بعد إنابتهم.

**والإنابة الثانية:** إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة.

**وهي تتضمن أربعة أمور:** محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك. اهـ



**قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [الزمر: ٥٤]، وَدَلِيلُ**

**الاسْتِعَانَةِ.....**

قوله (وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ): أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له.

قوله (وَدَلِيلُ): أي: الدليل على أن الاستعانة من أنواع العبادة.

قوله (الاسْتِعَانَةُ): الاستعانة من أعظم وأجل العبادات القلبية التي أمر الله بها

فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وأرشدنا النبي ق أن

نستعين بالله تعالى فقال: «فإذا استعنت فاستعن بالله».

والاستعانة: هي طلب العون<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[الفاحة: ٥]، وقال النبي ق: «إذا استعنت فاستعن بالله»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١/١٠٣)، والمفردات (مادة عون).

(٢) سيأتي تحريجه إن شاء الله عند ذكر المصنف له.

## أقسام الاستعانة:

## وتنقسم الاستعانة إلى خمسة أقسام:

• **الأول:** الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى وصرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

• **الثاني:** الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه جائزة بلا خلاف إذا كانت على بر قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢].  
قال العلامة محمد بن علي الشوكاني اليماني: في كتابه "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" (ص ٢٥): ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا، كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته أو يبلغ رسالته. اهـ

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: ٢].

• **الثالث:** الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية فهذه لغو وسخرية لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل، فتمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا الشخص قوة خفية.



• **الرابع** : الاستعانة بالأموال مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدر على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

• **الخامس** : الإستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة قال الله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة: ١٥٣] .  
أصول الاستعانة:

**والاستعانة بجمع أصليين**: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغناؤه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به <sup>(٢)</sup> . اهـ



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].....

قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): أي: إياك نوحده.

قوله (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): أي: نطلب العون والتأييد والتوفيق.

قال أبو الفداء إسماعيل ابن كثير -في "تفسيره" عند الآية المذكورة:

وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحرص <sup>(٣)</sup> أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين،

(١) انظر شرح الثلاثة الأصول (٦٢-٦٣) للعلامة العثيمين رحمه الله.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٧٥).

(٣) لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة إياك نعبد وإياك نستعين فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل. اهـ



وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنُ بِاللَّهِ» وَدَلِيلًا لَاسْتِعَاذَةً...

قوله (وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنُ بِاللَّهِ»): هذا قطعة من حديث أخرجه الترمذي وغيره عن ابن عباس ب<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في شرح هذه القطعة من الحديث كما في كتابه "جامع العلوم والحكم" (١/ ٤٨١-٤٨٢) ط/ الرسالة:

وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياها إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله، فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، .... وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه. وفي الحديث الصحيح عن النبي ق قال: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»<sup>(٢)</sup> ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا. اهـ

قوله (وَدَلِيلٌ): أي: والدليل على أن الاستعاذة من أنواع العبادة.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣)، والترمذي في السنن (٥٧٦) رقم (٢٥١٦) وهو صحيح بطرقه وهو في الصحيح

المسند (١/ ٥٥٧) رقم (٦٨٥) للعلامة الوادعي رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله (وَدَلِيلًا لِالِاسْتِعَاذَةِ): الاستعاذة هي أعظم وأجل العبادات القولية التي أمر تعالى بها في عدة مواضع من القرآن الكريم.

منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وغيرها من الآيات، فصرها لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

**والاستعاذة في اللغة:** هي طلب العوذ، ويقال: عاذ به يعوذ عوذاً وعياداً ومعاذاً يعني: التجأ إليه واعتصم به وتحصن<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٠١): السين والتاء دالة على الطلب فقوله: أستعيذ بالله أي أطلب العياد به كما إذا قلت أستخير الله أي أطلب خيرته وأستغفره أي أطلب مغفرته وأستقبله أي أطلب إقالته. اهـ  
وقال أيضاً رحمه الله "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٠٠): اعلم أن لفظ (عاذ) وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والالتجاء. اهـ

**وفي الشرع:** هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر، والعيادة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير. اهـ قاله العلامة ابن كثير رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر لسان العرب، والنهاية، والمفردات (مادة عوذ).

(٢) في تفسير الاستعاذة من مقدمة تفسيره.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله "بدائع الفوائد" (٢/٢٠٠): وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه. اهـ أقسام الاستعاذة:

### وتنقسم الاستعاذة إلى أربعة أقسام:

• **الأول: الاستعاذة بالله تعالى؛ وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمايم حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخر السورة وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: ١).**

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله "فتح المجيد" (ص ٢٦٨)، و"قرة عيون الموحدين" (١١٣) ط/دار ابن حزم:

**وقد أجمع العلماء؛ على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله أي: فيما لا يقدر عليه إلا الله. اهـ.**

• **الثاني: الاستعاذة بصفة من صفاته؛ ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، وهذه جائزة، والأدلة على جوازها كثيرة منها حديث خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»<sup>(١)</sup>. وقوله ق: «أعوذ برضاك من سخطك»<sup>(٢)</sup>. وقوله ق: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»<sup>(٣)</sup> وغيرها من الأدلة.**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٦) عن عائشة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٠٢) بدون ذكر العزة عن عثمان بن أبي العاص الثقفي. وأخرجه بهذا اللفظ

مالك في الموطأ (٢/٩٤٢) ومن طريقه أخرجه أبو داود (٣٨٩١)، والترمذي (٢٠٨١)، والحاكم (٣٤٣/١) بدون لفظة

(أحاذر)، وأخرجه كذلك أحمد في المسند (٤/٢١٧) و(٦/٣٩٠) وابن ماجه (٣٥٢٢) كلهم من طريق يزيد بن

خصيف عن عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي عن نافع بن جبير عن عثمان ابن أبي العاص.

• **الثالث:** الإستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ؛ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٦]

• **الرابع:** الإستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها؛ فهذا جائز ودليله قوله ق في ذكر الفتن: «من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه»<sup>(١)</sup>.

وحدث جابر O في قصة المرأة المخزومية التي سرقت فأتي بها للنبي ق فعادت بأم سلمة<sup>(٢)</sup>، وحدث أم سلمة ل عن النبي ق أنه قال: «يعود عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث» الحديث<sup>(٣)</sup> وغيرها من الأدلة<sup>(٤)</sup>.



قَوْلُهُ تَعَالَى: (فُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و(فُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) وَدَلِيلُ

الِاسْتِعَاذَةِ.....

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ إنما

أخرجه مسلم من حديث الجريري عن يزيد بن عبد الله بن الشيخير عن عثمان بن أبي العاص بغير هذا اللفظ.

والحديث صحيح كما قال الحاكم: وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٢)، ومسلم برقم (٢٨٨٦)، واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٨٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٨٢).

(٤) انظر شرح ثلاثة الأصول (ص ٦٣-٦٥) للعلامة العثيمين رحمه الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ أَعُوذُ): أي: التجيء واعتصم وتحرز.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (بِرَبِّ الْفَلَقِ): في تفسير سورة الفلق عدة أقوال<sup>(١)</sup> والصواب

منها: أنه الصبح، ويشمل غير ذلك مما يطلق عليه اسم الفلق.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" عند تفسير الآية المذكورة: قال ابن

جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار

البخاري—في صحيحه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ): أي: خالقهم ومالكهم ومربيهم.

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن الاستغاثة من أنواع العبادة.

قوله (الاسْتِغَاثَةُ): الاستغاثة من أعظم وأجل العبادات القولية.

تعريف الاستغاثة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع

الفتاوى" (١/١٠٣): **الاستغاثة**: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار

طلب النصر، والاستغاثة طلب العون. اهـ

أقسام الاستغاثة:

**وتنقسم الاستغاثة إلى أربعة أقسام:**

(١) راجع هذه الأقوال في جامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير رحمه الله وفتح القدير للشوكاني وغيره في تفسير هذه الآية.

- **الأول:** الإستغائة بالله عز وجل؛ وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، وهذه هي الاستغائة المأمور بها.
- **الثاني:** الإستغائة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة؛ فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.
- **الثالث:** الإستغائة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة؛ فهذا جائز بلا خلاف.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله:

ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى الاستدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف، ومنه قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وكما قال: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وكما قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] <sup>(١)</sup>. اهـ

- **الرابع:** الإستغائة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية؛ مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به،

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص ٢٠).

فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة<sup>(١)</sup>.

مسألة الفرق بين الاستعانة والاستغاثة:

**الاستعانة:** تكون في طلب العون قبل الحصول.

**والاستغاثة:** تكون في إزالة الشدة بعد الحصول، أو ما هو منزل منزلة حصوله

كما في غزوة بدر.

والخلاصة في الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة:

**أنها تجوز بثلاثة شروط:**

أن يكون ١ - حياً. ٢ - قادراً. ٣ - حاضرًا.



**قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) [الأنفال: ٩] ودليل**

**الذبح**

**قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ): أي: اذكروا نعمة الله**

**عليكم لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم وطلبتم منه أن يعينكم**

**وينصركم، فاستجاب الله لهذه العبادة العظيمة التي حصلت منهم وفرج**

**عليهم.**

(١) انظر شرح ثلاثة الأصول (٦٥-٦٦) للعلامة العنمين رحمه الله.



قوله (وَدَلِيلٌ): أي: والدليل على أن الذبح من أنواع العبادة.

قوله (الذبح): الذبح من أعظم وأجل العبادات المالية التي أمر الله بها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] ودائماً يجمعه الله مع الصلاة، فدل على أنه من أعظم العبادات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٦ / ٥٣١ - ٥٣٢): وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر. اهـ.

فصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

**والذبيح في اللغة:** هو قطع أو شقُّ حلق الحيوانات<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

أقسام الذبح:

**وينقسم الذبيح إلى أربعة أقسام:**

• **الأول: ذبيح واجب:** كذبيح الهدي، ودم الجزاء الذي يلزم من ترك واجباً

من واجبات الحج أو العمرة، والنذر لله والوليمة لمن استطاع عليها وغير ذلك.

• **الثاني: ذبيح مستحب:** كالذبيح للضيف قال الله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ

أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] ولقوله ق: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم ضيفه» الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن، والمعجم الوسيط (مادة ذبيح).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧) من حديث أبي هريرة وأخرجه كذلك من حديث أبي شريح.

• **الثالث: ذبح مباح:** كذبح الإنسان للأكل، وكذبح الجزرين للبيع، وغيره  
قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ  
(٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

• **الرابع: ذبح محرم،**

**وهو نوعان:**

▪ **النوع الأول:** محرم غير شرك بالله ولكنه بدعة كالذبح على المآتم في يوم  
ثالث الميت أو سابعه، وكالذبح حين الدفن، وتقسيم اللحم على الذين  
يدفنون الميت وغيره.

▪ **النوع الثاني:** محرم شرك بالله أكبر مخرج من الملة الإسلامية، كالذبح  
للقبور، والأصنام، والجن، والقباب، والمشاهد، وغيره للتقرب أو  
لجلب نفع أو دفع ضرر، ومنه الذبح للبئر الجديدة، أو عند الانتهاء من  
البيت الجديدة لقصد صرف الجن<sup>(١)</sup>.

• • •

قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام:  
١٦٢ - ١٦٣] وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» .

(١) انظر فتح الرب الودود للشيخ أحمد النجمي رحمه الله، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/١٩١) وما بعد.

قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٦ / ٥٣١ - ٥٣٢):

**النسك:** هي الذبيحة ابتغاء وجهه. والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر،.... وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية وما يجتمع له في نحره من إثارة الله وحسن الظن به وقوة اليقين والثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص وقد امتثل النبي ق أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر. اهـ باختصار.

قوله (وَمِنَ السُّنَّةِ): أي: والدليل من السنة على أن الذبح من أنواع العبادة.  
قوله: «لَعَنَّ اللَّهَ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»: الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه فقال: حدثنا زهير بن حرب، وسريج بن يونس، كلاهما عن مروان، قال زهير: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا منصور بن حيان، حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي ق يسر إليك، قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ق يسر إلي شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟

قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية بتقديم: «لعن الله من ذبح لغير الله».

**فدل هذا الحديث؛ على أن الذبح عبادة عظيمة صرفها لغير الله شرك أكبر** يخرج من الملة الإسلامية، ومما يدل على أنه عبادة كذلك أنه لا يكون إلا مع تعظيم، إما أن يكون تعظيم عبادة أو تعظيم مع خوف.

**واللعمري في اللغة:** هو الطرد والإبعاد.

**وفي الشرع:** هو الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

فائدة:

الذبح لغير الله لا يكون إلا شرك أكبر ولا يكون شرك أصغر؛ لأنه لا يذبح إلا مع التعظيم.



**وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧] .....**

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن النذر من أنواع العبادة. **قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا):** النذر من أعظم وأجل العبادات والقربات المالية التي يجب إخلاصها لله والوفاء بها قال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩٧٨).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي تحت حديث رقم (٧٩)، والنهاية، والمفردات (مادة طرد).

تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] فصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية.

**والنذر في اللغة:** هو الإيجاب؛ ومنه نذرت دم فلان إذا أوجبته تقول: (نَذَرْتُ، أَنْذَرْتُ، وَأَنْذَرْتُ نَذْرًا).

**وفي الشرع:** هو ما يقدمه المرء لربه، أو يوجهه على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوهما تبرعاً منه ولم يكن واجباً عليه شرعاً تعظيماً للمندور<sup>(١)</sup>.

أقسام النذر:

**وأقسام النذر اثنان؛ مطلق ومقيد:**

• **الأول:** النذر المطلق: وهو الذي لا يكون عن شرط ولا عن مقابلة كقول الناذر: (الله عليّ أن أتصدق بكذا من المال) أو (الله عليّ أن أصوم أسبوع).

• **الثاني:** النذر المقيد: وهو الذي يكون بشرط ومقابلة كقول الناذر: (إن شفى الله مريضى فعليّ كذا وكذا من المال) أو (إن شفى الله مريضى أصوم أسبوع).

**فحكم النذر المطلق:** الاستحباب؛ لأنه عبادة عظيمة أثنى الله على عباده فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

**وحكم النذر المقيد:** الكراهة لحديث ابن عمر أنه قال: نهى النبي ق عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر النهاية، والمعجم الوسيط، والمفردات، ولسان العرب (مادة نذر).

وفي لفظ لمسلم: «إنه لا يأتي بخير»، وفي لفظ له كذلك: «إنما يستخرج من الشحيح»، وحديث أبي هريرة أعن النبي ق أنه نهى عن النذر وقال: «لا يرد من القدر، وإنما يستخرج به من البخيل»<sup>(٢)</sup>.

وغيرها من الأحاديث، وكلها محمولة على النذر المقيد، وهذا مذهب الجمهور وذهب بعض أهل العلم إلى التحريم، والصحيح الأول.

والصارف للتحريم حديث عمران بن حصين أن امرأة من الأنصار، أُسرت فهربت على ناقة رسول الله ق ونذرت لله إن نجَّها الله عليها لتنحرَّتها، فذكروا ذلك لرسول ق فأنكر عليها نذرها فيما لا تملك، ولم ينكر عليها النذر من أصله<sup>(٣)</sup>.

وحديث ابن عباس بأن امرأةً ركبَتِ الْبَحْرَ فَنَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا، فَنَجَّاهَا اللهُ، فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ فَجَاءَتْ، ابْنَتْهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ق: «فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا»<sup>(٤)</sup>.

والنذر يكون في طاعة الله عز وجل ويكون في معصية الله عز وجل قال النبي ق: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه»<sup>(٥)</sup>. فنذر الطاعة يجب الوفاء به بالإجماع.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٠٨)، ومسلم برقم (١٦٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٤١).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٣٣٠٨) بإسناد صحيح على شرط الشيخين وهو في الصحيح المسند (١/٥٤٣) رقم (٦٥٦)

للعامة الوادعي رحمه الله.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٦).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: وقد أجمع العلماء على؛ أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كـ(إن شفى الله مريضاً فعلياً أن أتصدق بكذا)، ونحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما علّق نذره به على حصوله (وهو قول جمهور العلماء)<sup>(١)</sup>. ونذر المعصية: لا يجوز الوفاء به بالإجماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- بعد أن ذكر حديث عائشة المذكور- كما في "مجموع الفتاوى" (١١ / ٥٠٤): وقد اتفق العلماء على أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به. اهـ

وقال ابن قدامة رحمه الله كما في "المغني" (١١ / ٣٣٤): نذر المعصية لا يحل الوفاء به إجماعاً. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: واتفقوا؛ على تحريم النذر في المعصية<sup>(٢)</sup>. وهذا كله إذا كان النذر لله، وأما إذا كان لغير الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية كأن ينذر للأولياء أو الأنبياء أو أصحاب القبور وغيرهم. وأقسام النذر كثيرة تجدها في كتب أطول من هذا. مسألة: هل يكون النذر لغير الله شرك أصغر؟ النذر لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية؛ لأنه عبادة مع التعظيم ولا يكون شركاً أصغر.



(١) فتح المجيد (ص ٢٦٣)، وقرّة عيون الموحدين (ص ١١٠).

(٢) فتح الباري (تحت حديث رقم ٦٧٠٠).

## الأصل الثاني

.....  
**معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة**  
 .....

قوله (الأصل الثاني): أي: من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها.

قوله (معرفة دين الإسلام بالأدلة): أي: من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة رحمهم الله، وفيه إشارة منه رحمه الله كما تقدم في غير موضع إلى ذم التقليد وأنه لا يجوز التقليد خصوصاً في التوحيد.

قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله في كتابه "الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين" (ص ٣٤):

ولا يجوز فيه -أي التوحيد- التقليد؛ لأنه أصل الأصول فمن لم يعرف المعروف، وينكر المنكر فهو هالك، لا سيما أعظم المعروف وهو التوحيد، وأكبر المنكرات وهو الشرك. اهـ

ولأنك تسأل عن هذه الأصول في قبرك، فمن يُجب عليها إذا كنت مقلداً لغيرك يومئذ؟!؟

قوله (وهو): أي: الإسلام وقد سبق أن عرفناه وبيننا أن له معنيين، وسنشرح هنا تعريف المؤلف له.



قوله (الاستسلام لله بالتوحيد)، أي: يستسلم الإنسان لله استسلاماً شرعياً، ويكون بإفراده سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قوله (والانقياد له بالطاعة): أي: فيما أمر به سبحانه وتعالى ونهى عنه، فما أمر به تفعله، وما نهى عنه تجتنبه طاعة لله عز وجل؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه.



وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهِيَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: الْإِسْلَامَ، وَالْإِيمَانَ  
وَالْإِحْسَانَ...

قوله (وَالْبِرَاءَةَ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ): لأنه لا يكفي أن تستسلم لله بالتوحيد وتنقاد له بالطاعة وأنت لا تتبرأ من الشرك ولا من المشركين، هذا لا يكفي ولا تعد مسلماً، بل يجب أن تتبرأ من الشرك وأهله.

تنبيه:

لأن الخلوص من الشرك لا يكفي وحده، بل لا بد معه من البراءة من أهله وتكفيرهم، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] فتبرؤوا من أهل الشرك قبل الشرك.

وكذلك عبر بعض العلماء<sup>(١)</sup> بلفظة (الخلوص) بدل (البراءة)، والتعبير بلفظة (البراءة) أضبط؛ لأن الخلوص يكون من الشيء الذي قد وقع فيه، لكن البراءة تكون غالباً من الشيء الذي لم يقع فيه، والله أعلم.  
قوله (وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ): أي: دين الإسلام.

قوله (الإسلام، والإيمان والإحسان): والدليل على أن الدين ثلاث مراتب حديث جبريل عليه السلام، فإنه سأل النبي ق عن الإسلام والإيمان والإحسان، فبين له النبي ق وفسر له هذه الثلاثة الأشياء.

ثم قال النبي ق في آخر الحديث: «فإنه جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم»<sup>(٢)</sup>، فجعل هذه الثلاثة كلها ديناً.

وكل واحد من هذه المراتب الثلاث إذا أطلق شمل الدين كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٧/٧): بل جعل النبي ق الدين ثلاث درجات أعلاها (الإحسان) وأوسطها (الإيمان) ويليها (الإسلام) فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً. اهـ

فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين.



(١) من هؤلاء العلماء العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في أعلام السنة المنشورة (ص ٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكل مرتبة لها أركان؛ وأركان الإسلام خمسة .....

قوله (وكل مرتبة لها أركان): أي: كل واحد من الإسلام والإيمان والإحسان له أركان، وهذا إجمال منه رحمه الله، ثم يشع في التفصيل. والأركان جمع ركن وهو ما يقوم عليه الشيء، وركن الشيء جانبه القوي<sup>(١)</sup>. قوله (وأركان الإسلام خمسة): هذه الخمسة مأخوذة من حديث عبد الله بن عمر بقال: قال رسول الله ق: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الحديث؛ أن هذه الخصال الخمس هي الأركان والدعائم لبنان هذا الإسلام والدين فلا يثبت بدونها، فهي أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وقيام العبد بها يتم إسلامه، وبتركه لها لا يستقيم إسلامه وليس الإسلام محصوراً في هذه الخصال الخمس فقط، بل هناك خصال أخرى وطامات أخرى مكملات و متممات لهذه الخصال العظيمة التي ينبنى عليها الإسلام.



(١) انظر التعريفات (٩٥)، ومختار الصحاح وغيره (مادة ركن).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦) واللفظ للبخاري.

شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَ (إِقَامُ الصَّلَاةِ) وَ  
 (إِيتَاءُ الزَّكَاةِ) وَ (صَوْمُ رَمَضَانَ) وَ (حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ) فَدَلِيلُ  
 الشَّهَادَةِ.....

قوله (شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَ (إِقَامُ الصَّلَاةِ) وَ  
 (إِيتَاءُ الزَّكَاةِ) وَ (صَوْمُ رَمَضَانَ) وَ (حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ): ذكر هذه الخصال  
 الخمسة مجملة ثم يشرع في تفصيلها وتفسيرها بالأدلة.

قوله (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ): أي: والدليل على أن الشهادة من أركان الإسلام، بل  
 هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت  
 لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه،  
 ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها  
 انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر  
 والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنهما وعن حقوقها  
 السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها  
 أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي  
 كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنهما يسأل الأولون والآخرون... اهـ<sup>(١)</sup>

قوله (الشهادة): والشهادة هي: الاعتراف باللسان والاعتقاد بالقلب  
 والتصديق بالجوارح.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٣٤) ط/ الرسالة.

ولهذا لما قال المنافقون لرسول الله ق: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون:

[١].

كذبهم الله فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] فلم ينفعهم هذا الإقرار باللسان مع عدم اعتقادهم بالقلب وعدم التصديق بالجوارح.



قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)....

قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ): قال العلامة ابن القيم رحمه الله "مدارج السالكين"  
(٣/٤٥٠-٤٥١):

فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به.

وعبارات السلف في (شهد) تدور على: الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار، قال مجاهد: حكم، وقضى.

وقال الزجاج: بين، وقالت طائفة: أعلم وأخبر، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره وبيانه. اهـ المقصود.

قوله تعالى (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): أي: المنفرد بالألوهية على خلقه أجمعين وأن الجميع عبيده وخلقته وتحت أمره وفقراء إليه، وهو الغني عما سواه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

قوله تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ): معطوف على اسم الجلالة (الله) أي: وشهدت وأقررت أنه لا إله إلا الله.

قوله تعالى (وَ أُولُو الْعِلْمِ): معطوف أيضاً على ما قبله، والمعنى: شهدوا وآمنوا أنه لا إله إلا الله.

**والمقصود بالعلم:** العلم الشرعي؛ وهو علم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة رحمهم الله.

وفي هذا خصوصية عظيمة ومنقبة جليلة ومرتبة عالية للعلماء.



﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ..

قوله تعالى (قَائِمًا): منصوب على الحال من لفظ الجلالة، والمعنى: أنه لا إله إلا هو قائماً بالعدل، فهو المستحق للألوهية، حال كونه قائماً بالقسط.

قوله (بِالْقِسْطِ): أي: العدل، وهو عدل في جميع أموره وفي كل حال وزمان.

**قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٤٥٥/٣):**

فشهد الله سبحانه؛ أنه قائم بالعدل في توحيدِهِ، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال، فإن التوحيد يتضمن تفردَه سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب وموافقة الحكمة.

فهذا توحيد الرسل وعدلهم: إثبات حقائق الأسماء والصفات على ما يليق بالرب سبحانه، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإثبات القدر والحكم، والغايات المطلوبة المحمودة بفعله وأمره... اهـ

قوله ( لا إِلَهَ إِلا هُوَ ): هذه تأكيد لما سبق.

قوله (الْعَزِيزُ): أي: ذو العزة.

قوله (الْحَكِيمُ): قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين"

(٣/ ٤٦٠): والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسنا في نفسه وإذا نهى عن شيء كان

قبيحا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقا، وإذا فعل فعلا كان صوابا، وإذا أراد شيئا

كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلا لله وحده.

فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله

المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له

بالتوحيد، والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة، ولا يقوم بهذه

الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا

يقومون بها. اهـ



ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.....

قوله (ومعناها: لا معبود بحق إلا الله): أي: ومعنى لا إله إلا الله.

ولهذه الكلمة العظيمة مباحث متعلقة بها.

**منها:** المعنى. **ومنها:** الأركان. **ومنها:** الشروط. **ومنها:** المقتضى. **ومنها:** النواقض

وغير ذلك من مباحث هذه الكلمة العظيمة.

● **أما معناها:**

فكما قاله المؤلف - : لا معبود حق إلا الله.

● **وأما أركانها:**

فهي اثنين النفي والإثبات (فلا إله) نفيًا لجميع المعبودات، (وإلا الله) مثبتًا  
العبادة لله وحده سبحانه وتعالى.

وسياتي الإشارة إليها في كلام المؤلف رحمه الله.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في فتح المجيد (ص ٨٢):

فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك، وقبله وعمل  
به، وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل؛ فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل  
صرف؛ فهي حجة عليه بلا ريب. اهـ

### ● وأما شروطها:

التي لا تنفع قائلها إلا بإجتماعها فيه؛ فهي سبعة وزاد بعض العلماء<sup>(١)</sup> شرطًا  
ثامنًا وهو حسن في بابه.

**الأول:** العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا. **الثاني:** اليقين، المنافي للشك.

**الثالث:** القبول المنافي للرد. **الرابع:** الانقياد المنافي للترك.

**الخامس:** الإخلاص المنافي للشرك. **السادس:** الصدق المنافي للكذب.

**السابع:** المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين  
لشروطها وبغض ما ناقض ذلك.

**الثامن:** الكفر بما يعبد من دون الله.

وقد جمعها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وإنقياد والقبول لها

(١) من هؤلاء العلماء العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله كما في كتابه قرّة عيون الموحدين (ص ٥٣) ط/ دار ابن حزم.



وزيد ثامنها الكفران منك بما  
سوى الإله من الأشياء قد أها  
وجمعها الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله فقال<sup>(١)</sup>:

وَبَشْرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قِيَّدَتْ      وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ  
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا      بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا  
الْعِلْمُ وَالْوَقْفُ وَالْقَبُولُ      وَالْإِنْقِيَادُ فَادِرٌ مَا أَقْبُولُ  
وَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ      وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّه

وهذه الشروط؛ لا تنفع قائلها إلا باجتماعها فيه، ثبتت بالاستقراء التام لدلائل الكتاب والسنة وأدلتها كثيرة في الكتاب والسنة، وليس هذا موضع بسطها.

لكن أرشدك على أحسن من شرحها وهو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في كتابه (معارض القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول) في التوحيد<sup>(٢)</sup>.  
فائدة:

أول من جمع هذه الشروط السبعة أو الثمانية هو العلامة عبدالرحمن بن حسن -<sup>(٣)</sup>، وإن كانت وجدت متفرقة في كلام من قبله.

### ● وأما مقتضاها:

فهو أن ينطق بها الإنسان عالماً مقراً بها شاهداً بذلك.  
وجماع ذلك؛ أن يفرد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، ويلزم من ذلك الكفر بما سواه من الآلهة الباطلة.

(١) معارج القبول (١/٣٢) ط/ دار ابن القيم.

(٢) معارج القبول (٢/٤١٨-٤٣٤).

(٣) مجموعها في كتابه (فتح المجيد) (ص ١٤٧-١٤٨)، وقررة عيون الموحدين (ص ٥٣).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

### ● وأما نواقضها:

فهي كثيرة جداً ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، وأوصلها بعضهم إلى أكثر من أربعة مائة ناقض أعظمها الشرك بالله عزوجل ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والاستهزاء بشيء من الدين أو برسول الله ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، وبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، وفعل السحر أو الرضى به، وغير ذلك من النواقض.



لا معبود بحق إلا الله وحده، و (لا اله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ.....

قوله (لا معبود): أي: لا مألوه.

قوله (بحق): هذا قيد مهم؛ لأن كل مألوه سوى الله عز وجل فإلهيته بغير حق أبطل الباطل وأضل الضلال وأعظم المنكرات.

قوله (نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ): الإله مشتق على الصحيح من أله يأله ألوهة وإلاهة وألوهية بمعنى: عبد عبادةً لفظاً ومعنى، فهو إله بمعنى مألوه، أي: معبود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠٢ / ١٣): والإله هو المألوه أي: المستحق؛ لأن يؤله أي يعبد، ولا يستحق أن يؤلهها ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل. اهـ

وقال رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (٢٢٦/١): والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق. اهـ. ففي هذه الجملة التي ذكرها المؤلف - دلالة على أحد أركان لا إله إلا الله وهو النفي.

قوله (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ): وفي هذه الجملة دلالة على الركن الثاني لهذه الكلمة وهو الإثبات.

فالنفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً (زيد قائم) فهنا أثبت له القيام لكنك لم توحيده به؛ لأنه لا يمنع أن يشاركه غيره في هذا القيام، ولو قلت: (لا قائم) فقد نفيت نفيًا محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت: (لا قائم إلا زيد) فحينئذ تكون وحدت زيدا بالقيام حيث نفيت القيام عن سواه، وهذا هو تحقيق كلمة التوحيد؛ لأن التوحيد لا يكون توحيداً حتى يضمن نفيًا وإثباتاً<sup>(١)</sup>.

### إشكال وجوابه:

كيف يقال: (لا إله إلا الله) مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سهاها الله تعالى آلهة وسهاها عابدها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [سورة هود، الآية: ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف: ١٤] وكيف يمكن

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل العثيمين رحمه الله (١٧/١) جمع وترتيب فهد.

أن تقول: لا إله إلا الله مع ثبوت الألوهية لغير الله، وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسول يقولون لأقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟ [سورة الأعراف، الآية: ٥٩] والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في ( لا إله إلا الله ) فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، الآية: ٦٢] ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [سورة النجم، الآيات: ١٩-٢٣]، وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة يوسف الآية: ٤٠] إذن فمعنى ( لا إله إلا الله ) لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدها ليست حقيقة أي ألوهية باطلة<sup>(١)</sup>.



..... كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ .....

قوله ( كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ ) : فالله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده سبحانه وتعالى لا شريك له في هذه العبادة كما أنه ليس له شريك في ملكه

(١) انظر شرح ثلاثة الأصول (ص ٧١-٧٢) للعلامة العثيمين رحمه الله وكذلك مجموع فتاواه (١/٧٩-٨٠).

فملكه عام شامل قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

وأما ما ورد من إثبات الملكية لغير الله، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ [النور: ٦١]؛ فهو ملك محدود لا يشمل إلا شيئاً يسيراً من هذه المخلوقات، فالإنسان يملك ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، وكذا هو ملك قاصر من حيث الوصف؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن له فيه شرعاً.

فمثلاً: لو أراد أن يحرق ماله، أو يعذب حيوانه؛ قلنا: لا يجوز، أما الله سبحانه فهو يملك ذلك كله ملكاً عاماً شاملاً<sup>(١)</sup>. اهـ



وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ\* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ.....)

قوله (وَتَفْسِيرُهَا): أي: شرحها وبيانها؛ لأن التفسير هو الشرح والبيان تقول كشف المراد عن المشكل<sup>(٢)</sup>.

قوله (الَّذِي يُوَضِّحُهَا): أي: يبينها ويظهرها.

(١) انظر القول المفيد (ص ٩) ط/ دار ابن حزم للعلامة العثيمين رحمه الله.

(٢) انظر القاموس المحيط، والمعجم الوسيط (مادة فسر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ): إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وخليته إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء وهو أفضل الرسل بعد نبينا محمدق وهو من أولوا العزم الخمسة.

قوله (لَأَبِيهِ): أبوه آزر كما دل عليه القرآن قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤] وهو مشرك كما في هذه الآية.

قوله (وَقَوْمِهِ): أي: قومه الذين أرسل فيهم.

قوله (إِنِّي بَرَاءٌ): براء: صفة مشبهة من التبرؤ وهو التخلي أي: إنني متخل غاية التخلي عما تعبدون إلا الذي فطرني هو الله عزوجل، وبراء: أبلغ وأعظم من كلمة بريء؛ لأن الصفة المشبهة تدل على الدوام والثبات والاستمرار.

قوله (مِمَّا تَعْبُدُونَ): أي: الذي تعبدونه وكانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها هم بأيديهم، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام في جملة مناظرته لهم: ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

قوله (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي): أي: الذي خلقتني.

قوله (فَأَنَّهُ سَيُهْدِيَنِي): أي: سيرشدني لدينه ويدلني عليه ويثبتني على الحق.



وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الزخرف: ٢٦] -  
[٢٨] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْنَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.....

قوله (وَجَعَلَهَا): أي: صيرها.

قوله (كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ): هذه الكلمة هي (لا إله إلا الله) بإجماع أهل العلم<sup>(١)</sup>.

قوله (فِي عَقِبِهِ): أي: في ذريته فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده.

قوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ): أي: إليها.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في "تفسيره" (٥٧٨/٢-٥٧٩) عند تفسير الآية المذكورة: يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، وينيبوا إلى عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم. اهـ

قوله (قُلْ): الخطاب لرسول الله ق أي: (قل يا محمد).

قوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ): المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم، فالمراد بالكتاب هنا الجنس ليكون شاملاً.

قوله (تَعَالَوْا): أي: أقبلوا وهلموا.

قوله: (إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ): أي: كلمة عدل بيننا وبينكم، نستوي نحن وأنتم فيها، وهي كلمة التوحيد.

قوله (أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا): هذا تفسير لهذه الكلمة العدل،

وهذا هو مقتضى لا إله إلا الله، أن يوحد الله وحده لا شريك له ويترك ما سواه،

سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، وهذه دعوة جميع الرسل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٢٥].

(١) نقل الإجماع عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في قرّة عيون الموحدين (ص ٦٥) ط/ دار ابن حزم.

وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٦٤] وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.....)

قوله (وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ): أي: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله قاله ابن جريج، وقال عكرمة: سجدوا بعضهم لبعض.

قوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا): أي: أعرضوا عما دعوا إليه.

قوله (فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ): أي: موحدون.

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن شهادة أن محمداً رسول الله من أركان الإسلام.

قوله (شَهَادَةُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ): شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

الله ركن واحد وإنما كانتا ركناً واحداً مع أنهما من شقين؛ لأن العبادات تنبني على

تحقيقها معاً، فلا تقبل العبادة إلا بإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله

إلا الله، واتباع الرسول ق وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله<sup>(١)</sup>. اهـ

قلت: فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهاتين الشهادتين معاً فلا تغني إحداهما عن

الأخرى، بل هما متلازمتان.

قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ): الخطاب للعرب في قول الجمهور، والمعنى: لقد جاءكم

يا معشر العرب، وقيل: هي مخاطبة عامة لجميع الأمة والمعنى: لقد جاءكم رسول من

البشر<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ٧٠) للعلامة العثيمين رحمه الله.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/٣٠١) للقرطبي رحمه الله عند تفسير الآية.



قوله (مِنْ أَنْفُسِكُمْ): أي: من جنسكم وعلى لغتكم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وغيرها من الآيات.

وقال سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية<sup>(١)</sup>.

والمعنى: أنه لم يصبه شيء من أنكحة الجاهلية المحرمة التي هي الزنى، ولكن نسبه من النكاح الذي أقره الشرع الذي يفعل الآن فكذا كان يفعل في الجاهلية.



عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمُ الْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

[التوبة: ١٢٨].....

قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ): أي: يعز عليه الشيء التي يُعنت أمته ويشق عليها؛ لأن العنت: هو المشقة.

(١) الأثر حسن، أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين، وفي إسناد ابن جرير سفيان بن وكيع وهو ضعيف، ولكن قد تابعه محمد بن أبي عمر في سند ابن أبي حاتم، فالأثر حسن بالطريقين، وصح الأثر أيضاً عن ولده جعفر أخرجه عبد الرزاق في التفسير (١/٢٩١) ومن طريقه ابن جرير (١٤/١٢٨) عن سفيان بن عيينة به عن جعفر.

قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ): أي: على هدايتكم وإسلامكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

قوله (بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ): خص المؤمنين بهذا وهكذا أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٧].  
 بخلاف الكافرين فإنه مأمور بالغلظة عليهم والشدّة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]،  
 وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخَتُّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ [محمد: ٤]، وغيرها من الآيات كثيرة.



وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

قوله (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ): لشهادة أن محمداً رسول الله ق مباحث تتعلق بها فلها معنى، وأركان، وشروط، ونواقض وغير ذلك.

● **فَأَمَّا مَعْنَاهَا أَوْ مَقْتَضَاهَا:**

فهو ما ذكره المؤلف رحمه الله بقوله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وسيأتي شرحه إن شاء الله.

● **وَأَمَّا أَرْكَانُهَا: فَلَهَا رَكْنَان:**

**وهما؛** قولنا: عبده ورسوله، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه ق، فهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين.

### • وأما شروطها:

- فقد ذكر لها العلماء بالتتبع والاستقراء ستة شروط وهي:
- ١- الاعتراف برسالته، واعتقادها باطناً بالقلب.
  - ٢- النطق بذلك والاعتراف به ظاهراً باللسان.
  - ٣- المتابعة له في العمل بما جاء به من الحق أمراً أو نهياً وتحليلاً وتحريماً.
  - ٤- تصديقه بكل ما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية.
  - ٥- محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.
  - ٦- تقديم قوله على قول كل أحمد، والعمل بسنته<sup>(١)</sup>.

### • وأما نواقضها:

فهي نواقض شهادة أن لا إله إلا الله، وقد ذكرنا بعضها فيما مضى.



(١) وقد نظمها أخونا الفاضل فتح القدسي حفظه الله في أربعة أبيات فقال:

شروط من شهد أن أحمدا	رسول ربي ستة فلتعددا
أولها اعتقاد قلب جازم	والثاني نطق من لسان سالم
محبته أشد من حب الولد	والنفس صدق كل ما عنه ورد
من ثابت واتبعه في الأعمال	وقوله قدم على الأقوال

طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى

وزجر.....

قوله (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ): أي: ويجب طاعة النبي ق بفعل ما أمر به، وترك ما نهى

عنه.

وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة وقرن الله سبحانه وتعالى طاعته بطاعته كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]. وغيرها، وتارة يأمر بها منفردة كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

وجعل الله سبحانه طاعته هداية ومعصيته ضلال قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] وغيرها من الآيات، وكما سبق معنا أن الله ذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعاً.

قوله (وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ): أي: يجب تصديقه، التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان، في جميع ما أخبر به من أبناء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرّم من حرام؛ لأن تكذيبه تكذيب لله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

قوله (وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجْر): يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]،

وقوله ق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(١)</sup>.



وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ: .....

قوله (وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ): أي: لا بالأهواء والبدع والضلالات ولكن العبادات توقيفية تتوقف على الكتاب والسنة لا مجال للعقل والرأي فيها، فلا يجوز الإتيان بعبادات لم يشرعها رسول الله ق، وإن كان القصد حسناً فإن العمل باطل وبدعة قال ق: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

وقال ق: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق معنا أن شروط قبول العمل، شرطين الإخلاص لله سبحانه والمتابعة لرسول الله ق.

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن الصلاة والزكاة ركنان من أركان الدين الخمسة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم برقم (١٣٣٧) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧١٨) وعلقه البخاري في صحيحه قبل حديث رقم (٧٣٥٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦) وغيرهم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله، وحسنه العلامة الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٧١/٢).

قوله (الصَّلَاة): الصلاة: هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عموم الإسلام.

**والصلاة في اللغة:** هي الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله ق: «إذا دعيت أحدكم فليجب، فإن كان مفطراً فليطعم، وإن كان صائماً فليصل»<sup>(١)</sup>.

**وفي الشرع:** هي عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

مسألة: حكم تارك الصلاة.

إن تركها جحوداً؛ فقد أجمع العلماء على أنه كافر، خارج من الملة الإسلامية.

وإن تركها تكاسلاً وتهاوناً؛ فقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في ذلك على قولين:

- **القول الأول:** أنه كافر خارج عن الملة الإسلامية.
- **والقول الثاني:** أنه كفر أصغر ليس مخرجاً من الملة الإسلامية، بل يكون فاسقاً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب.

**والراجع منه القولين -والله أعلم-:**

**هو القول الأول:** أنه كافر خارج من الملة الإسلامية لقول النبي ق: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»<sup>(٢)</sup>، وقوله ق: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها؛ فقد كفر»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) عن بريدة رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وهو في الصحيح المسند (١/١٤٢).

وقول عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله ق يرون شيئاً تركه كفر غير الصلاة<sup>(١)</sup>.

وغيرها من الأدلة<sup>(٢)</sup>.

## والزكاة:

قوله (والزكاة): الزكاة: هي الركن الثالث من أركان الإسلام وهي عبادة مالية جلييلة، فالصلاة عبادة البدن والزكاة عبادة المال، وكثير ما يقرن بينهما الله في كتابه الكريم كما في الآية التي ذكرها المؤلف، وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وغيرها.

**والزكاة في اللغة:** هي النماء والزيادة، وسميت بذلك لأنها تثمر المال وتنميته، يقال: زكا الزرع، إذا كثر ريعه، وزكت النفقة، إذا بُورك فيها.

**وفي الشرع هي:** اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة.

ولها ركن واحد؛ وهو الإخلاص لله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٢) وابن أبي شيبة (٤٩/١١) وغيرهما واللفظ للترمذي وإسناده صحيح.

(٢) ولشيخنا الفاضل محمد بن حزام حفظه الله بحثاً نفسياً ذكر فيه أدلة الطرفين ثم رجح ما يراه في كتابه (فتح العلامة في

دراسة أحاديث بلوغ المرام) (٤١٨/١) وما بعدها فراجع إن شئت.

(٣) انظر شرح المذهب (٥/٣٢٤-٣٢٥).

## مسألة: حكم الزكاة:

الزكاة فرض، وركن من أركان الإسلام، وهي واجبة بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين.

**أما الكتاب؛** فقول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

**وأما السنة؛** فحديث ابن عباس بآن النبي ق بعث معاذاً إلى اليمن، وفيه: «وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»<sup>(١)</sup>.

**وأما الإجماع؛** فقد أجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها<sup>(٢)</sup>.

## مسألة: حكم تارك الزكاة:

أما من تركها جحوداً فهو كافر بالإجماع ما لم يكن جاهلاً، وكذلك حكم سائر الأركان.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله "فتح الباري" (٣/ ٣٣٢) ط/ دار السلام: وأما أصل فرضية الزكاة فمن جحدتها كفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٦١):

وأما الفرائض الأربع، فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها كالفواحش والظلم والكذب والخمر ونحو ذلك... اهـ

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٥) ومسلم برقم (١٩) واللفظ للبخاري.

(٢) انظر المغني (٤/ ٥)، وشرح المهذب (٥/ ٣٢٦).



وأما إن تركها بخلاً لا جحوداً؛ فمذهب الجمهور وهو الصحيح أنه ليس كافراً ولكنه فاسقاً مرتكباً لكبيرة من الكبائر، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة قال رسول الله: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»<sup>(١)</sup> الحديث.

قال النووي رحمه الله في "شرح المذهب" (٥ / ٣٣٤): إذا منع الزكاة بخلاً بها وأخفاها مع اعترافه بوجوبها لم يكفر بلا خلاف. اهـ.

**قلت:** لعله يقصد بلا خلاف في مذهبهم وإلا فقد وجد الخلاف كما مر بنا، وأن هذا مذهب الجمهور وهو الصحيح.



وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ.....

قوله (وتفسير التوحيد): أي: شرحه وبيانه.

قوله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ): أي: وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب والخطاب عام يشمل غيرهم إلا أن يعبدوا الله ويوحده، وهذا كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ضمن حديث طويل برقم (٩٨٧).

قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ُ): أي: العبادة ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وفي هذه الآية دليل على وجوب النية في العبادات؛ لأن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى.

قوله (حُنَفَاءَ): أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد وقد سبق معنا تعريف الحنيف في اللغة والشرع فراجع، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قوله (وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ): أي: يؤدوها في أوقاتها وهي أشرف عبادات البدن.



### وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ [البينة: ٥]، ودليلاً للصيام....

قوله (وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ): أي: يعطوها عند محلها أي وقتها ولمستحقيها. ومستحقين الزكاة هم ثمانية ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. وإنما في الآية تفيد الحصر فلا يجوز صرفها في غير هذه المصارف الثمانية، فمن صرفها في غير هذه الأوصاف الثمانية لم يكن قد أدى الزكاة الذي عليه ولو أنفق ما أنفق من الأموال.

قوله (وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ): أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة (على الحق).

فاستدل المؤلف - بهذه الآية على الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد.

قوله (ودليل): أي: والدليل على أن الصيام من أركان الإسلام.

قوله (الصِّيَام): الصيام: هو الإمساك، وترك التنقل من حال إلى حال، ويقال للصمت صوم؛ لأنه إمساك عن الكلام قال الله تعالى مخبراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أي: سكوتاً عن الكلام.

**وفي الشرع:** هو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. اهـ قاله القرطبي - (١).

وقال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" للنووي (١٨٦/٧) ط/ دار المعرفة:

هو: إمساك مخصوص في زمن مخصوص من شخص مخصوص. اهـ

مسألة: حكم صوم رمضان:

صيام رمضان فرض على كل مسلم، بالغ، عاقل، مقيم، قادر على الصوم، وقد دل على هذا الكتاب والسنة والإجماع.

**أما منه الكتاب؛** فكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

**وأما منه السنة؛** فكقوله ق في حديث ابن عمر ب: «بني الإسلام على خمس»، وذكر منها: «صيام رمضان» (٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن عند تفسير الآية رقم (١٨٣) من البقرة.

(٢) سبق تخريجه.

وحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «الصَّلَوَاتِ الْحَمَسَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا» فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ قَالَ: «شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا» قَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ؟ قَالَ: فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئًا» الحديث (١) ، وغيرها من الأحاديث.

**وأما الإجماع؛** فقد قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني" (٣٢٤/٤): وأجمع المسلمون على وجوب صيام شهر رمضان. اهـ  
وقال القرطبي رحمه الله في "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير الآية رقم (١٨٣) من سورة البقرة: ولا خلاف فيه أي في وجوبه. اهـ  
وقال الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" (٣٢٩/١) ط/ دار الوفاء عند تفسير الآية رقم (١٨٣) من سورة البقرة: ولا خلاف بين المسلمين أجمعين، أن صوم رمضان فريضة، افترضها الله سبحانه على هذه الأمة. اهـ



قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣].....

قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا): هذا خطاب من الله عز وجل لعباده المؤمنين من هذه الأمة.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٩١)، ومسلم برقم (١١) واللفظ للبخاري.

قوله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ): معنى كتب: فرض، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] يعني فرض عليكم القتال، فالكتب في كتاب الله معناه الفرض<sup>(١)</sup>. اهـ

قوله (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ): قال العلامة العثيمين رحمه الله: وفي قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فوائد:

**أولاً:** أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا وهذا يدل على محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

**ثانياً:** التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان.

**ثالثاً:** الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها<sup>(٢)</sup>. اهـ

قوله (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): أي: تتقون الله بصيامكم؛ لأنه يوصل إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس، وكسر الشهوات، وتضييق لمسالك الشيطان.



وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.....

قوله (وَدَلِيلُ): أي: والدليل على أن الحج واجب.  
قوله (الْحَجِّ): الحج: هو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو عبادة عظيمة جليلة.

(١) شرح الأصول الثلاثة (ص ١٩٠) للعلامة الفوزان.

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ٧٧).

**والحج في اللغة:** هو القصد، وله لغتان: الحجُّ، والحجُّ بفتح الحاء وكسرها والفتح أشهر.

**وفي الشرع هو:** القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة<sup>(١)</sup>. اهـ  
مسألة: حكم الحج:

اعلم أن الحج فرض عين على كل مكلف أي: (بالغ، عاقل)، حر، مسلم، مستطيع وهو أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب؛** قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

**وأما السنة؛** فقول النبي ق: «بني الإسلام على خمس» وذكر منها: «حج البيت من استطاع إليه سبيلاً»<sup>(٢)</sup> وغيره.

**وأما الإجماع؛** فقد قال ابن قدامة رحمه الله في «المغني» (٦/٥): «وأجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع في العمر مرة واحدة. اهـ»

وقال النووي رحمه الله في «المجموع شرح المهذب» (٧/٧):

فالحج فرض عين على كل مستطيع بإجماع المسلمين وتظاهرت على ذلك دلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة. اهـ

(١) انظر المغني (٥/٥)، والمجموع شرح المهذب (٢/٧)، وشرح مسلم للنووي (٣١٣/٨) ط/ دار المعرفة، وفتح الباري

(٣/٤٧٦) ط/ دار السلام.

(٢) سبق تحريجه.

مسألة: هل يكفر تارك الصوم والحج.

فأما إذا تركهما جحوداً فهو كافر بالإجماع، ولقد سبق معنا كلام شيخ الإسلام رحمه الله؛ لأنه جحد شيئاً معلوم من الدين بالضرورة.

وأما إذا تركهما مع اعتقاد وجوبهما فالصحيح وهو قول الجمهور أنه لا يكفر؛ لأنه لم يأت دليل صحيح في تكفيره، وقد يستدل لمذهب الجمهور بقول عبد الله بن شقيق: «لم يكن أصحاب رسول الله يرون شيئاً تركه كفر غير الصلاة» وقد سبق معنا<sup>(١)</sup>.

قوله (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ): هذا الخطاب عام شامل لجميع الناس لا يخرج عنه إلا من خصصه الدليل كالصبي والعبد، فهو فرض الله الواجب على عباده وهو ركن من أركان الإسلام ودعائمه وقواعده.



مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران: ٩٧]، المَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ:

قوله (مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا): قال الشوكاني رحمه الله "فتح القدير" (١/٥٩٥) ط/ دار الوفاء عند تفسير الآية المذكورة:

قد اختلف أهل العلم في الاستطاعة ماذا هي؟ فقال بعضهم: هي الزاد والراحلة، وإليه ذهب جماعة من الصحابة، وحكاها الترمذي عن أكثر أهل العلم وهو الحق. اهـ

**قلت:** الصحيح أن المراد (بالاستطاعة) القدرة، فمن لم يستطع فلا حرج عليه، فهي شاملة سواء قدر بهاله أو بيدنه أو بهما.

(١) وانظر مجموع الفتاوى (٧/٦١٠).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله- بعد أن ذكر عدة أقوال في ذلك- في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٦١٨/٥) عند تفسير الآية المذكورة.:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء: إن ذلك على قدر الطاقة. لأن "السبيل" في كلام العرب: الطريق، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانع له منه من زمانة، أو عجز، أو عدو، أو قلة ماء في طريقه، أو زاد، أو ضعف عن المشي، فعليه فرض الحج، لا يجزيه إلا أدأؤه. فإن لم يكن واجداً سبيلاً، أعني بذلك: فإن لم يكن مطيقاً الحج، بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد إليه طريقاً ولا يستطيعه. اهـ

قوله (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ): قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

يعني بذلك جل ثناؤه ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته، فأنكره وكفر به، فإن الله غني عنه وعن حجه وعمله، وعن سائر خلقه من الجن والإنس. اهـ  
قوله (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ): أي: المرتبة الثانية من مراتب الدين.

قوله (الإيمان): جمهور أهل العلم يقولون: الإيمان في اللغة هو التصديق. ونقل إجماع أهل اللغة: القاضي أبو بكر في (التمهيد) أن الإيمان هو التصديق. وردّ قوله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٢١/٧) - (١٢٣): فقال: (قوله) إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق، فيقال له: من نقل الإجماع؟ ومن أين يُعلم هذا الإجماع؟ وفي أي كتاب ذكر الإجماع؟. اهـ



وحاصل ما ذكر أن بعضهم عرف الإيمان في اللغة: بالتصديق وبعضهم بالثقة وبعضهم بالتحقيق وبعضهم بالإقرار<sup>(١)</sup>.

**والصحيح؛** أن تعريف الإيمان **في اللغة هو:** (الإقرار) ولا إقرار إلا بتصديق كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة العثيمين رحمة الله عليهما<sup>(٢)</sup>.

**والإيمان في الشرع:** هو قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا التعريف مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأجمع السلف؛ أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح<sup>(٣)</sup>. اهـ

وقد سبق أن بينا أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] فنفي عنهم الإيمان المطلق: أي الكامل وأثبت لهم الإسلام.

(١) انظر مقياس اللغة (١/١٣٣)، ومختار الصحاح (ص ٢٢)، والقاموس المحيط (ص ١١٧٦)، ولسان العرب (١/٢٢٣)، والنهاية، والمنهاج في شعب الإيمان (١/١٩) وغيره.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٧/٦٣٨)، والصارم المسلول (ص ٥١٩)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص ٣٦، ٤٤٦) ط/ دار ابن الجوزي.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٦٧٢)، وانظر كذلك (٧/٥٠٥) و(٦/٤٨١) ونقل كذلك الإجماع الشافعي كما في مجموع الفتاوى (٧/٢٠٩) و(٧/٣٠٨)، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٨٨٦-٨٨٧) للالكائي رحمه الله، وجامع العلوم والحكم (ص ١٠٤) ط/ الرسالة، ونقل كذلك الإجماع البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/٣٨-٣٩) إعلام السنة المنشورة (ص ١٧١).

وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.....

قوله (وَهُوَ بَضْعٌ): البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.  
قوله (وَسَبْعُونَ شُعْبَةً): والشعبة: هي الجزء من الشيء أو القطعة منه، وكل شعبة يندرج تحتها أفراد من الخصال.

### مسألة وفائدة جليلة:

بِمَ فسر العلماء هذه الشعب؟

قال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في "إعلام السنة المنشورة" (ص ١٧١): قد عدها جماعة من شراح الحديث وصنفوا فيها التصانيف فأجادوا وأفادوا، ولكن ليس معرفة تعدادها شرطاً في الإيمان بل يكفي الإيمان بها جملة، وهي لا تخرج عن الكتاب والسنة، فعلى العبد امتثال أوامرهما واجتناب زواجرهما وتصديق أخبارهما، وقد استكمل شعب الإيمان والذي عدده حق كله من (أمور الإيمان)، ولكن القطع بأنه هو مراد النبي ق بهذا الحديث يحتاج إلى توقيف. اهـ

قوله (فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): أي: أعلى شعب الإيمان وأفضلها كما في بعض الروايات (أفضلها) قول العبد (لا إله إلا الله) وهي كلمة التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، فهي كلمة الإسلام، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأساس دعوة الرسل ومفتاح الجنة، وقد مر معنا شيء من مباحث هذه الكلمة العظيمة.



وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.....

قوله (وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ): أي: وأصغر شعب الإيمان: إزالة وإبعاد وتنحية الأذى عن الطريق، والمراد بالأذى: كل ما يؤذي من حجر أو شوك أو غيره، وهو سبب في دخول الجنة وغفران الذنوب كما قال النبي ق: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ له: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وفي لفظ لها: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له»<sup>(٣)</sup>.

قوله (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ): أي: بعض من الإيمان وجزء منه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

**(والحياء) هو بالدھو في اللغة:** تغيير وإنكسار يعتري الإنسان من خوف ما

يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه.

**وفي الشرع:** خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق

ولهذا جاء في الحديث الآخر: «الحياء كله خير»<sup>(٤)</sup> اهـ.<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩١٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢)، ومسلم برقم (١٩١٤) عنه كذلك.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٣٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

## فائدة:

الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بإنفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قُرن بينهما أي: ذكرا جميعا دل كل واحد منهما على معنى، فدل الإسلام إذا اجتمعا على الأعمال الظاهرة وهي أركان الإسلام الخمسة ودل الإيمان على الأعمال الباطنة وهي الأركان الستة، فبينهما عموم وخصوص.



وأركانه ستة: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ**.....

قوله (وأركانه ستة): أي: دعائمه التي يقوم عليها، وهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعا على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، فمن جحد شيئا منها أو آمن به على غير هذا الوجه، فقد كفر.

قوله (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ): الإيمان بالله عز وجل يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بوجود الله تعالى.

**الثاني:** الإيمان بربوبيته؛ أي: بأنه وحده الرب المنفرد لا شريك له ولا معين فله الخلق والملك والتدبير وغير ذلك من أفعاله.

**الثالث:** الإيمان بألوهيته أي: أنه وحده الإله الحق لا شريك له في ألوهيته كما أنه ليس له شريك في ملكه.

والإله: هو المألوه أي: المعبود كما سبق معنا قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل

(١) فتح الباري (١/٧٣) ط/ دار السلام.

عمران، الآية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وغير ذلك من الأدلة.

#### الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو ما أثبتته له رسوله ق في سنته من الأسماء والصفات، على الوجه اللائق به، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وغير ذلك من الأدلة.

وهذه الأمور الأربعة متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر؛ فمن لم يؤمن بوجود الله؛ فليس بمؤمن، ومن آمن بوجود الله لا بانفراده بالربوبية فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية لا بالألوهية فليس بمؤمن، ومن آمن بالله وانفراده بالربوبية وبالألوهية لكن لم يؤمن بأسمائه وصفاته؛ فليس بمؤمن.



#### وَمَلَائِكَتِهِ

قوله (وَمَلَائِكَتِهِ): **اللائكة**: عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وإنما هم عابدون لله ليلاً ونهاراً، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وهم لا يعصون الله ما أمرهم كما قال

تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وعدد هم كثير، يدل على هذا حديث مالك بن صعصعة الطويل في قصة الإسراء، وفيه: «فرغ لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»<sup>(١)</sup> ولهم وظائف يقومون بها وأعمال مختلفة. والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

### الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ق «أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح» أخرجاه<sup>(٢)</sup>، وفي لفظ للبخاري قال: «رأى رفرفاً أخضر سدّ أفق السماء»<sup>(٣)</sup>.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي ق وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل فجعل يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها، فأجابه النبي ق ثم قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(٤)</sup>.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه، والتعب له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٢)، ومسلم برقم (١٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٣) عن ابن مسعود، وأخرج البخاري برقم (٣٢٣٤، ٣٢٣٥)، ومسلم برقم (١٧٧) نحوه

عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) سبق تحريجه.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة: مثل جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى، يرسله الله إلى الأنبياء والرسل.

ومثل ميكائيل الموكل بالقطر والنبات، ومثل إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق، ومثل ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت وغيرهم.



### وَكُتِبَهُ

قوله (وَكُتِبَهُ): **الكتب**: جمع (كتاب) تقول: كتب يكتب كتاباً، وكتابة، وكتباً ومدار المادة على الجمع.

ومنه تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا، والكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم؛ لاجتماع الكلمات والحروف، وسُمِّي الكتاب كتاباً، لجمعه ما وضع له.

**والمراد بها هنا:** الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، ولكل رسول كتاب كما دل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

**الثاني:** الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ق، والتوراة التي أنزلت على موسى ق، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ق، والزبور الذي أوتيه داود ق، وصحف إبراهيم ق وأما ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالاً.

**الثالث:** تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

**الرابع:** العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨] أي: حاكمًا عليه.



### وَرُسُلِهِ

قوله (وَرُسُلِهِ): أي: رسل الله (وقد سبق معنا تعريف الرسول) فأول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام، وآخرهم محمد ق كما سيأتي معنا إن شاء الله. ولم تخل أمة من رسول أو نبي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وغير ذلك من الأدلة.

**والرسل:** بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه ورسوله محمد ق: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:



**الأول:** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

**الثاني:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧]. وفي سورة الشورى في قوله ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

وقد جمعهم بعضهم بقوله:

محمد إبراهيم موسى كلمه      فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

وهم في الفضل على الترتيب المذكور في البيت.

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٧٨].

**الثالث:** تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

**الرابع:** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم نبينا ورسولنا محمد ق المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

## وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.....

قوله (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ): اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبْعَثُ الناس فيه للحساب والجزاء.

وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

**الأول:** الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مختننين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

**والبعث:** حق ثابت دلَّ عليه الكتاب، والسنة وإجماع المسلمين.

**فأما الكتاب؛** فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] وغير ذلك من الآيات. فأما السنة قوله ق: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» الحديث، وقد تواترت الأحاديث في هذا.

**فأما الإجماع؛** فقد قال العلامة ابن القطن الفاسي رحمه الله:

وأجمعوا على أن الله تعالى يعيدهم كما بدأهم حفاة عراة غرلاً<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال كذلك: وأجمعوا على أن الله يُعيد الخلق كما بدأهم، فريقاً هدى، وفريقاً حق عليهم الضلالة<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) الاقتناع في مسائل الإجماع (١/ ٥٤) ط/ دار الكتب العلمية.

(٢) الاقتناع في مسائل الإجماع (١/ ٥٥).

وقال العلامة العثيمين رحمه الله:

وأجمع المسلمون على هذا إجماعاً قطعياً، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة ويلاقون ربهم، ويجازون بأعمالهم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] (١). اهـ.

### فائدة جليلة:

قال العلامة العثيمين رحمه الله: وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت؛ زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل، دلّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

**أما الشرع:** فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧]. وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

**وأما الحس:** فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك، وهي:

**المثال الأول:** قوم موسى حين قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة: ٥٥] فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [سورة البقرة: ٥٥، ٥٦].

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص ٤٥) ط/ دار ابن الجندي.

**المثال الثاني:** في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ \* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٢، ٧٣]

**المثال الثالث:** في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم أوف؛ فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣].

**المثال الرابع:** في قصة الذي مرَّ على قرية ميّتة، فاستبعد أن يحييها الله تعالى؛ فأماه الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا حَمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

**المثال الخامس:** في قصة إبراهيم الخليل، حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؛ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن؛ فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسيّة واقعة، تدل على إمكان إحياء الموتى.

### وأما دلالة العقل: فمعه وجهين:

**أحدهما:** أن الله تعالى فاطر السموات، والأرض، وما فيها، خالقها ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق، لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤].

وقال أمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: ٧٩].

**الثاني:** أن الأرض تكون ميتة هامدة، ليس فيها شجرة خضراء؛ فينزل عليها المطر؛ فتتهتز خضراء حيّة، فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّا نُرِي الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ \* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ \* رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [سورة ق: ٩، ١١] <sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) شرح أصول الإيمان (ص ٢٢-٢٤)، وشرح الثلاثة الأصول (ص ١٠٥-١٠٨).

**الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء:** يحاسب العبد على عمله، ويجازي عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة وإجماع المسلمين.

**أما الكتاب؛** فقولُه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية، الآيتين: ٢٥-٢٦] وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧] وغير ذلك من الأدلة.

**وأما السنة؛** فقولُه ق: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُّهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»<sup>(١)</sup>.

**وأما الإجماع؛** فقد قال: ابن القطان رحمه الله: وأجمعوا على أن الخلق يؤتون بصحف أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال العلامة العثيمين رحمه الله: وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع (١/٥٥) ط/ دار الكتب العلمية.

وقال: وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة... (١) اهـ

### الثالث: الإيـان بالجنة والنار، وأنها المآل الأبدي للخلق.

**فالجنة؛** دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيـان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (٢). قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة، الآيتين: ٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٧].

**وأما النار؛** فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على بال قال الله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾

(١) شرح أصول الإيـان (ص ٢٠)، وشرح ثلاثة الأصول (ص ١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم بهذا اللفظ برقم (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي، وأخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم

(٢٨٢٤) بنحوه عن أبي هريرة.

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿ [سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤-٦٦].

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه وغيرها.



### وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ

قوله (وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ): القدر: بفتح الدال تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته. قال ابن الأثير رحمه الله: وقد تكرر ذكر (القدر) في الحديث وهو: عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور، وهو مصدر قَدَرُ يَقْدُرُ قَدْرًا، وقد تُسْكَنُ دالُه (١). اهـ

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن الله تعالى عَلِمَ بكل شيء، جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، أي: علم كل ما كان وكل ما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

**الثاني:** الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وهو كائن إلى قيام الساعة.

(١) النهاية (مادة قدر).



قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وحديث عبادة بن الصامت أقال: سمعت رسول الله يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ب قال: سمعت رسول الله يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»<sup>(٢)</sup>.

**الثالث:** الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، وأنه لا يحصل شيء من الخير والشر إلا بمشيئة الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٦] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

(١) صحيح لغيره أخرجه الترمذي في سننه (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وأبوداود في سننه (٤٧٠٠) وأحمد في مسنده (٣١٧/٥)

وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٤/١٤)، وأبوداود الطيالسي في مسنده (٥٧٨)، والطبراني في مسند الشاميين (١٩٤٩ و ٥٩)

وغيرهم وهو صحيح لغيره بمجموع طرقه والله أعلم، والحديث فيه قصة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣).

مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿ [سورة الأنعام: ١١٢] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وغير ذلك من الآيات.

**الرابع :** الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] ، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة الزمر: ٦٢] ، وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

**فالحاصل؛** أنه لا يتم إيمان إنسان بالقدر حتى يؤمن بهذه الأمور الأربعة بأن الله: ١- علم كل شيء. ٢- ثم كتبه في اللوح المحفوظ. ٣- ثم شاءه. ٤- ثم خلقه، والله ولي التوفيق.

### فائدة:

١- قال العلامة العثيمين رحمه الله: أما وصف القدر بالخير، فالأمر فيه ظاهر. وأما وصف القدر بالشر، فالمراد به شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله، فإن فعل الله عز وجل ليس فيه شر، كل أفعاله خير وحكمة، ولكن الشر في مفعولاتهم مقدوراته، فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل، فلا، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «والشر ليس إليك»<sup>(١)</sup> ، وذكر أمثلة ثم قال: وعلى هذا يجب أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضمن حديث طويل.

تعرف أن الشر الذي وصف به القدر إنما هو باعتبار المقدورات والمفعولات، لا باعتبار التقدير الذي هو تقدير الله وفعله.

ثم اعلم أيضاً أن هذا المفعول الذي هو شر قد يكون شراً في نفسه، لكنه خير من جهة أخرى، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]... وعلى هذا، فيكون الشر في هذا المقذور شراً إضافياً يعنى: لا شراً حقيقياً، لأن هذا ستكون نتيجته خيراً.... ثم ذكر أمثلة.

### فالمحصل أننا نقول:

**أولاً:** الشر الذي وصف به القدر هو شر بالنسبة لمقدور الله، أما تقدير الله، فكله خير والدليل قول النبي ق: «والشر ليس إليك»<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** أن الشر الذي في المقذور ليس شراً محضاً بل هذا الشر قد ينتج عنه أمور هي خير، فتكون الشرية بالنسبة إليه أمراً إضافياً. انتهى باختصار<sup>(٢)</sup>.

### فائدة:

قال العلامة الوادعي رحمه الله: من ثمرات الإيمان بالقدر:

- ١ - أداء عبادة الله عز وجل، فالقدر مما تعبدنا الله سبحانه وتعالى به.
- ٢ - قوة الإيمان، فالذي يؤمن بالقدر لا يتزعزع ولا يبالي بما ناله في سبيل الحق.

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص ٤٦-٤٨) ط/ دار ابن الجوزي.

٣- الشجاعة والإقدام، والثبات، فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لا يموت إلا إذا جاء أجله، ولا يناله من البلاء إلا ما كتب له، لا يبالي بما ناله من الأذى والمصائب والمكاره.

٤- الطمأنينة وتخفيف الهموم والأحزان.

٥- الصبر والاحتساب.

٦- الكرم، فالذي يؤمن أنه لا يفتقر إلا إذا قدر الله عليه، فإنه ينفق ولا يبالي.

٧- الإخلاص، فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل العمل من أجل الناس؛ لأنه يعلم أنهم لا يستطيعون أن ينفعوه بشيء لم يقدره الله، ولا يستطيعون أن يضره بشيء لم يقدره الله عليه.

٨- التوكل واليقين والاعتماد على الله والاستسلام له: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

٩- عدم الاعتماد على الكهان والمنجمين والمشعوذين، والتمسح بأثره القبور، ودعاء غير الله، وصراف شيء من أنواع العبادة لغير الله؛ لأنه يعلم أن هذه الأمور لا تملك له نفعاً لم يردده الله، ولا ضرراً لم يردده الله.

١٠- القناعة وعدم التكالب على الدنيا.

١١- التواضع، فإذا رفعه الله بهال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فهو يعلم أن هذا من عند الله، ولو شاء لانتزعه منه، إنه على كل شيء قدير.

١٢- إغاطة المبتدعة الذين يتحكمون في حكمة الله وشرعه<sup>(١)</sup>. اهـ



وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السُّنَّةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا  
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: ١٧٧].....

(١) من الجامع الصحيح في القدر (ص ١٢-١٣) ط/ دار الآثار.

قوله (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السَّنَّةُ): أي: والدليل على هذه الأركان الستة من القرآن، وأنها أركان للإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا بها جميعاً، وأنه متى انتفى واحد منها لم يكن المرء مؤمناً.

قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ): قال العلامة أبو الفداء إسماعيل ابن كثير رحمه الله: اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة، ...

وقال: وأما الكلام على تفسير هذه الآية، فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب. وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل، وامثال أوامره، والتوجه حيثما وجهه واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، ولهذا قال: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية، كما قال في الأضاحي والهدايا: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج: ٣٧]. ثم قال: وقال الثوري: ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ الآية قال: هذه أنواع البر كلها، وصدق رحمه الله، فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله. اهـ باختصار<sup>(١)</sup>.



(١) من تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

ودليل القدر قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر]:

..... [٤٩]

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ): في الآية الأولى فيها أركان الإيمان الخمسة وبقي ركن واحد استدل له المؤلف رحمه الله بهذه الآية ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] والأدلة على القدر كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُزِّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].



..... المرتبة الثالثة: الإحسان

قوله (المرتبة الثالثة): أي: المرتبة الثالثة من الدين.  
قوله (الإحسان): **الإحسان في اللغة**: هو ضد الإساءة، مصدر أحسن تقول: أحسن، يحسن إحساناً إذا أتقن الشيء وأتمه.  
**وفي الشرع**: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهو على ثلاثة أقسام:

**الأول:** الإحسان بين العبد وبين ربه، وهذا هو الإحسان في العبادة، وهو المقصود في حديث جبريل عليه السلام، والمعنى أن الإنسان يتقي ويتم العمل الذي كلفه الله به فيأتي به على وجه الصحيح خالصاً لله عز وجل متبعاً فيه لرسول الله ق. وهو على مرتبتين متفاوتتين:

**أعلاهما؛** عبادة الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان.

**الثاني مقام المراقبة؛** وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه وإطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ وإرادته بالعمل، ومنه أدنى من الأولى ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب نفوذ البصائر<sup>(١)</sup>. اهـ.

**الثاني:** الإحسان بين العبد وبين الناس وهو بذل المعروف للخلق وكف الأذى عنهم، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] يدخل في هذا حتى البهائم.

كما قال النبي ق: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة (ص ١٧٥) ط/ مكتبة الرشد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس.

وربما كان إحسانك لهذا الحيوان سبباً لغفران الذنوب ودخول الجنة كما في حديث أبي هريرة أقال: قال النبي ق: «بيننا كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذا رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فسقته فغفر لها به»<sup>(١)</sup> وغيره.

ولهذا قلنا بذل المعرف للخلق ولم نقل للناس كي يدخل فيه الإحسان إلى البهائم.

**الثالث: الإحسان في الصنعة وإتقانها،** إذا صنع الإنسان شيئاً أو عمل عملاً، فإنه يجب عليه أن يتقنه ويتمه، وهذا إحسان، وقد قال النبي ق في حديث عائشة ل: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(٢)</sup>.

**تنبيه:**

فسر بعضهم الإحسان بالإخلاص، وهذا ليس بصحيح وقد أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: قد قيل: إن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق: أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله.

قال تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقال تعالى: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ فذكر إحسان الدين أولاً ثم ذكر الإحسان

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧)، ومسلم برقم (٢٢٤٥) واللفظ للبخاري.

(٢) حسن بشواهده ومعناه صحيح، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٤٩/٧) برقم (٤٣٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٣٤-٣٣٥) برقم (٥٣١٤ و٥٣١٣) وإسناده ضعيف؛ لأن فيه مصعب بن ثابت لين الحديث ولم يتابع، ولكن ذكر العلامة الألباني رحمه الله شاهد له يقويه بعض التقوية في الصحيحة برقم (١١١٣)، وحسنه في صحيح الجامع الصغير برقم (١٨٨٠) فالحديث حسن بشاهده على الأقل، ومعناه صحيح والله أعلم.



ثانياً؛ فإحسان الدين هو - والله أعلم - الإحسان المسئول عنه في حديث جبريل فإنه سأله عن الإسلام والإيمان<sup>(١)</sup>. اهـ



رُكْنٌ وَاحِدٌ: وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك....

قوله (رُكْنٌ وَاحِدٌ): أي: مع ما تقدم من الإسلام والإيمان وليس وحده بدون الإسلام والإيمان، فإن هذا الفهم خطأ .. فانتبه.  
وقال الحافظ حكيم رحمه الله:

وثالثُ مرتبةِ الإحسانِ وتلك أعلاها لدى الرحمن

**والإحسان:** هو أعلى مراتب الدين، فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان.

والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين، وقد سبق معنا الإشارة لذلك وبيانه في المخطط، وأنه كل محسن مؤمن وليس كل مؤمن محسن وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

قوله (كأنك تراه): هذه تسمى مرتبة المشاهدة: وهي مرتبة الطلب، وقد سبق تفسيرها.

(١) الإيمان الأوسط (ص ١٣٦-١٣٧) ط/ دار ابن حزم، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٢٢).

قوله (فإن لم تكن تراه فإنه يراك): وهذه تسمى مرتبة المراقبة، وهي مرتبة الهرب، وقد سبق تفسيرها.

وكلتاها مرتبتان عظيمتان، لكن المرتبة الأولى أكمل وأفضل.



وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)

[النحل: ١٢٨].....

قوله (وَالذَّلِيلُ): أي: والدليل على الإحسان من القرآن، وأدلته كثيرة جداً في القرآن فتارة يذكره الله عز وجل مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالتقوى، وتارة بهما معاً، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالجهاد، وتارة بالعمل الصالح مطلقاً، وقد يذكر مفرداً.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿البقرة: ١٩٥﴾، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قوله (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا): أي: تركوا المحرمات فلم يقدموا عليها، خوفاً من الله عز وجل.

قوله (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ): أي: فعلوا الطاعات وأحسنوا فيما فرض عليهم، امتثالاً لأوامر الله عز وجل.



وقوله تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وقوله تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يونس: ٦١].....

قوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ): أي: في جميع أمورك، فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومعلِّك كلمتك.

قوله (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ): أي: حين تقوم إلى صلاتك، وجميع أمرك وشأنك.

قوله (وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ): أي: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد.

قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ): أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، وكل شؤونهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

قوله (وَمَا تَكُونُ): أي: يا محمد، فالخطاب للنبي ق وهو شامل لجميع الأمة.  
قوله (فِي شَأْنٍ): أي: عمل من الأعمال وأمر من الأمور الظاهرة والباطنة الصغيرة والكبيرة، والدقيقة والجليلة.

قوله (وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ): أي: وما تقرأ من كتاب الله من قرآن.  
قوله (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ): أي: أيها الناس، وهذا شامل لعمل الخير وعمل الشر.

قوله (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا): أي: رقباء مطلعين على أعمالكم وشؤونكم من خير وشر قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨].

قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ): أي: تندفعون إلى العمل تسارعون فيه وتلبسون به.



(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ): حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....

قوله (وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ): أي: والدليل على مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان من الأحاديث الواردة عن النبي ق في ذلك.  
قوله (حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ): هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup>، وهو في الصحيحين عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (٩-١٠).

وجاء عن غيرها في خارج الصحيحين وإنما اختار المؤلف رحمه الله حديث عمر  
الذي في مسلم؛ لأنه أتم وفيه زوائد من الفوائد والله أعلم، وهو حديث عظيم الشأن  
عليه مدار الدين.

قال النووي رحمه الله: قال القاضي عياض رحمه الله: وهذا الحديث قد اشتمل على  
شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح  
وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه  
ومتشعبة منه قال وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه بالمقاصد  
الحسان فيما يلزم الإنسان إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب  
والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة، والله أعلم.

وقال النووي رحمه الله: واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف  
والأدب واللطائف، بل هو أصل الإسلام<sup>(١)</sup>. اهـ



(١) المنهاج شرح مسلم (١/١١٤)، وانظر كلاماً طيب لابن رجب رحمه الله في هذا المعنى في كتابه جامع العلوم والحكم

قال: بينما نحن جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ.....

قوله (بينما نحن جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ُ): يفسرها

حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين قال: كان النبي ق بارزاً يوماً للناس.

قوله (إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ): أي: ملك في صورة رجل فهذا يدل على أن الملائكة

ذكور، ليسوا إناثاً وأدلة هذا كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي سَفَاعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١].

ومن وصفهم بأنهم إناثاً فقد كفر كفراً أكبر مخرج من الملة الإسلامية، قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ

وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾

[الصافات: ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ

لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ

الْبُنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] وغير ذلك من الأدلة.

قوله (شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا

يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ): تعجبوا من شدة بياض ثيابه وشدة سواد شعره؛ لأنهم لم يعرفونه، ولم

يرو عليه علامات السفر، وهذه الأوصاف التي رأوه فيها خلاف المعهود؛ فإنه من

المعلوم أن الذي يسافر خصوصاً في ذلك الزمن الذي كانوا يسافرون فيه على الإبل

والأقدام، لكون ثيابه وشعره فيها أثر الغبار ويرى عليه أثر السفر من التعب والإرهاق وغيرها، وفيه أنه يستحب لطالب العلم لباس الثياب الجميلة والنظيفة.



فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ  
وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَنْ  
تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ،  
وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ  
إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ  
وَيُصَدِّقُهُ.....

قوله (فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ): أي: أسند جبريل عليه السلام ركبته إلى ركبتي النبي ق.

قوله (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ) (٥): أي: جبريل عليه السلام وضع كفيه على فخذي نفسه، وهذا من كمال الأدب وهي جلسة وهيئة المتعلم أمام المعلم، وهذا هو ظاهر السياق، وهو الصحيح.

وذهب بعضهم أن جبريل عليه السلام وضع كفيه على فخذي رسول الله ق، مبالغة منه في تعمية أمره ليقوي الظن بأنه من جفاة العرب، والأول هو الصحيح وهو اختيار النووي رحمه الله وغيره، والله أعلم.

قوله (وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ): لم يقل: يا رسول الله أخبرني، تعمية لأمره، وأنه من أهل البادية؛ لأن هذا صنيع أهل البادية الأعراب؛ فإنهم إذا جاؤوا إلى النبي ق يقولون: يا محمد.

أما الذين سمعوا قول الله عز وجل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، لا يقولون: يا محمد ولكن يقولون يا رسول الله. قوله (أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ): سبق معنا شرح أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وإنما سنشرح الأمور التي لم نشرحها.

قوله (قَالَ: صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ): قال النووي رحمه الله في "المنهاج شرح مسلم" (١/١١٢): سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل، إنما هذا كلام خبير بالمسؤول عنه، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي ق. اهـ قلت: فيه دليل على أنه من أجاب بإجابة صحيحة يقال له: صدقت، وأحسنت أو أصبت وغيرها من الألفاظ التي تدل على موافقته للحق.

وفيه دليل؛ على أن السائل إذا سأل عن شيء يعلمه من أجل أن ينتفع الحاضرون، فإنه لا بأس به وأنه يكون معلماً لهم؛ لأنه يكون سبباً في هذا الجواب الذي انتفع به الناس.



قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ  
تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ  
السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ  
السَّائِلِ.....

قوله (أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ): أي: متى تقوم الساعة، والمراد بها يوم القيامة التي يبعث فيها الناس ويجازون فيها على أعمالهم من خير وشر.



قوله (: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ): يعني أن علم الخلق كلهم في وقت الساعة سواء، فقوله ما المسئول عنها يعني نفسه ق، وقوله: «بأعلم من السائل» أي: جبريل عليه السلام، وهذا فيه إشارة إلى أن الله تعالى استأثر بعلمها.

وجاء في حديث أبي هريرة أن النبي ق قال: «في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]»<sup>(١)</sup>، وقال عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وفي حديث ابن عمر ب عن النبي ق قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]»<sup>(٢)</sup>.

فمن ادعى علم الساعة فهو كاذب بدلالة الكتاب والسنة، من أين له أن يعلمها والله مستأثر بها عنده ورسول الله ق وجبريل عليه السلام لا يعلمانها وهم أفضل الرسل؛ ولكن هذه الساعة أمارات كما قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] أي: علاماتها.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٠٣٩ و٤٦٢٧)، (٤٦٩٧ و٤٧٧٨) وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال النووي رحمه الله في هذه الفقرة من الحديثي "شرحه لصحيح مسلم" (١/١١٣):

فيه؛ أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وأن ذلك لا ينقصه، بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه. اهـ



قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا.....

قوله (أخبرني عن أماراتها): أي: علاماتها التي تدل على اقترابها، وذكر في هذا الحديث علامتين من علامات الساعة الصغرى.

قوله (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا): أي: سيدتها قال النووي رحمه الله ومعناه: أن تكثر السراري حتى تلد الأمة السرية بنتاً لسيدها، وبنت السيد في معنى السيد، وقيل غير ذلك. اهـ

وقال العلامة ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (١/١٣٦):

**والمراد بربتها:** سيدتها ومالكتها، وفي حديث أبي هريرة (ربها) وهذا إشارة إلى فتح البلاد، وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراير ويكثر أولادهن، فتكون الأم دقيقة لسيدها، وأولاده مها بمنزلته، فإن ولد السيد بمنزلة السيد، فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها وسيدها. اهـ (وهذه هي العلامة الأولى).



وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ  
 قَالَ: فَمَضَيْفَلِبُنَا مَلِيًّا فَقَالَ: يَا عَمْرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْنَا: اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»

قوله (وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ): أي: الذين ليس لهم نعال من الفقر.

قوله (الْعُرَاةَ): أي: الذين ليس لهم كسرة من الفقر.

قوله (الْعَالَةَ رِعَاءَ): المراد بالعالاة الفقراء، والعائل الفقير قال الله تعالى:

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

قوله (يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ): أي: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة  
 والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان. اهـ قاله النووي رحمه الله<sup>(١)</sup>، وهذه  
 هي العلامة الثانية.

وهناك علامات أخرى للساعة أخرى كبرى وصغرى ليس هذا موضع ذكرها.

قوله (فَمَضَيْفَلِبُنَا مَلِيًّا): أي: وقتاً يسيراً، وفي حديث أبي هريرة لعن النبي ق قال:  
 «ثم أدبر فقال: ردوه؛ فلم يروا شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله (أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ): فيه استحباب طرح المعلم المسألة بصيغة السؤال  
 ليختبر أفهامهم وذكائهم.

قوله (قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ): وهذا كما قيل: من قال الله أعلم فقد أفتى، ويجوز  
 قول الله ورسوله أعلم في حال حياته ق، أما بعد وفاته فلا يجوز على الصحيح أن يقول  
 الإنسان الله ورسوله أعلم، بل يقول الله أعلم فقط، والله أعلم.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١/١١٤) ط/ دار المعرفة.

(٢) سبق تخريجه.

قوله (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ): فجعل: الإيـمان والإسلام والإحسان كلها تسمى ديناً.

## الأصل الثالث

..... معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم .....

قوله (الأصل الثالث): أي: من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها.

قوله (معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم): قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله كما في "حاشية ثلاثة الأصول" (ص ٧٥): فمعرفة نبينا محمد ق هي أحد الأصول الثلاثة، فكما أن الأصل الأول: وهو معرفة الله العظيم وواجب معرفته، وكذلك الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام الذي خلقنا الله له وتعبدنا بالقيام به أصل عظيم وواجب معرفته، فكذلك هذا الأصل الثالث: وهو معرفة نبينا محمد ق أصل عظيم يجب معرفته؛ فإنه ق هو الوساطة بيننا وبين الله تعالى، ولا وصول لنا ولا اطلاع لنا ولا طريق لنا ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابه ويقربنا من رضي الله وثوابه إلا بما جاء به نبينا محمدق، وإذا كان كذلك عرفنا وجه كون معرفته أحد الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها، فإننا لا نعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الرب جل جلاله، ولا الأصل الثاني الذي هو دين الإسلام إلا بالوساطة بيننا وبين الله، فتحتمت معرفته ق، وصارت أصلا ثالثا، إذ لا يمكن معرفة المرسل إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات معرفة الرسول ق، وبذلك ظهر أن معرفته ق أحد الأصول الثلاثة، ومعرفته تتنظم أشياء عديدة: منها: معرفة اسمه ونسبه وعمره، وبقائه في الدنيا ووفاته، ومعرفة ما نبي به ، وما أرسل به، وبلده ومهاجره، ومنها-وهو أعظمها-: معرفة ما بعث به، وغير ذلك مما ذكر المصنف وغيره. اهـ



وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

قوله (وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ): له ق أساء كثيرة وإنما خصه المؤلف هنا بهذا الاسم؛ لأنه أشهر أسمائه؛ ولأنه قد عرف به؛ ولأن الله عزوجل ذكر هذا الاسم في القرآن مقروناً بالرسالة فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

اعلم رحمك الله وسدد خطاك: أن أسمائه ق: كلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال فهي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف، فهي باعتبار دلالتها على الذات (أعلام) وباعتبار دلالتها على المعاني (أوصاف) فهي مترادفة في الذات متباينة في الصفات، وكذلك أسماء الله عزوجل وأسماء القرآن (وأسماء اليوم الآخر وأسماء الجنة وأسماء النار). فلو كانت أسمائه ق أعلاماً محضة لا معاني لها، لم تدل على المدح، وأسماء غير ما ذكر أعلاماً فقط والله أعلم<sup>(١)</sup>.

ذكر شيء من أسماء النبي ق بالأدلة من الكتاب والسنة:

(١) انظر زاد المعاد (١/٨٦) ط/ الرسالة، وجلاء الأفهام (ص ١٨٤) وما بعد ط/ دار عالم الفوائد، وحادي الأرواح إلى بلاد

الأفراح (ص ١٠٧) ط/ دار الآثار، ومجموع الفتاوى (٣/٥٩)، والقواعد المثلى (ص ٣٧) وما بعد.

الأول: محمد. الثاني: أحمد. الثالث: الماحي: الذي يمحو الله به الكفر والشرك. الرابع: الحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه. الخامس: العاقب: الذي ليس بعده نبي. السادس: المقفي. السابع: نبي الرحمة: الذي أرسله الله رحمة للعالمين. الثامن: نبي التوبة: الذي فتح الله به باب التوبة على العباد. التاسع: نبي الملحمة: الذي بعث بجهاد أعداء الله. العاشر: المصطفى. الحادي عشر: المتوكل.

الأدلة على هذه الأسماء: قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

عن جبير بن مطعم أقال: قال: رَسُولَ اللَّهِ ق: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ».

أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم أيضاً، وزاد: « وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً، وجاء في مسلم عن الزهري تفسير العاقب بأنه الذي ليس بعده نبي (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٢)، ومسلم برقم (٢٣٥٤).

وقال ق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَلَا تَعَجَّبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتَمُونَ مُدَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي موسى أقال: قال: كان رسول الله ق يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»<sup>(٢)</sup>.

وعن حذيفة أقال: لقيت النبي ق في بعض طرق المدينة فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْمُقْفِيُّ وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمُلْحَمَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي أن النبي ق قال لليهود: «أبيتم، فو الله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتتم أو كذبتتم»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمرو العاص ل في صفة وصفه للنبي ق في التوراة: «أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَيْتَكَ الْمَوَكَّلَ لَيْسَ بَفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»، وفي لفظ: «ولكن يعفو ويصفح»<sup>(٥)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٥٥).

(٣) حسن، أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية برقم (٣٦٠) وأحمد في المسند (٤٠٥/٥) والبيهقي في شرح السنة برقم (٣٦٣١)، وأخرجه البزار في مسنده برقم (٢٣٧٨) بإسناد حسن.

(٤) صحيح لذاته أخرجه أحمد في المسند (٢٥/٦)، والحاكم في المستدرک (٤١٥-٤١٦/٣) وغيرهم، وهو في الصحيح

المسند من أسباب النزول (٢٠٧-٢٠٨) للعلامة الوادعي رحمه الله ط/ دار الآثار.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٣٨، ٢١٢٥).



ومما وقع من أسائه في القرآن بالاتفاق الشاهد المبشر النذير المبين الداعي إلى الله السراج المنير وفيها أيضاً المذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد والأمين والمزمل والمدثر وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتوكل ومن أسائه المشهورة المختار والمصطفى والشفيع المشفع والصادق المصدوق وغير ذلك ...

**قلت:** بعض الذي ذكرها أوصافاً وليست أسماء.

وقال: ونقل ابن العربي في شرح الترمذي عن بعض الصوفية أن لله ألف اسم ولرسوله ألف اسم. اهـ باختصار<sup>(١)</sup>.

### قاعدة وفائدة:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد في هدي خير العباد" (١/٨٨) ط/ الرسالة: وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق، والمصدوق، والرءوف الرحيم، إلى أمثال ذلك. وفي هذا قال من قال من الناس: إن لله ألف اسم، وللنبي ق ألف اسم، قاله أبو الخطاب بن دحية، ومقصوده الأوصاف. اهـ

### قاعدة وفائدة:

وقال رحمه الله في المصدر السابق (١/٨٧): لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم، لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك فلا يكون له منه اسم يخصه. اهـ

### قاعدة وفائدة:

وأسماءه ق نوعان:

(١) فتح الباري (٦/٦٨١-٦٨٢) ط/ دار السلام.

**أحمدهما:** خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفي، ونبي الملحمة.

**والثاني:** ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة. اهـ.

كنيته صلى الله عليه وسلم:

كنيته ق المشهورة أبو القاسم كما سيأتي في الحديث.

مسألة: هل يجوز التكني بأبي القاسم؟

جاء في الصحيحين عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة<sup>(١)</sup> وجابر<sup>(٢)</sup> وأنس<sup>(٣)</sup> Q أن رسول الله قال: «تسموا باسمي، ولا تكونوا بكنيتي» وفي بعض الطرق: «لا تكتنوا».

اختلف العلماء رحمهم الله في التكني بأبي القاسم على عدة مذاهب أقواها أربعة مذاهب:

• **الأول:** المنع وأنه لا يجوز أن يتكنى أبا القاسم، سواء كان اسمه محمد أو أحمد أو غيره، لظاهر الحديث السابق ذكره، وهذا مذهب الشافعي في (المشهور) رحمه الله، ومن وافقه من أهل الظاهر وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٠، ٣٥٣٩)، ومسلم برقم (٢١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١١٤ و ٣٥٣٨) وغيره ومسلم برقم (٢١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٠، ٢١٢١، ٣٥٣٧)، ومسلم برقم (٢١٣١).

• **الثاني:** يجوز التكني بأبي القاسم مطلقاً لمن اسمه محمد ولغيره، وجعلوا النهي خاصاً بحياة رسول الله ق، هذا مذهب مالك، قال القاضي: وبه قال جمهور السلف، وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء.

• **الثالث:** لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره.

قال الرافعي: يشبه أن يكون هذا الثالث أصح؛ لأن الناس لم يزالوا يكتنون به في جميع الأعصار من غير إنكار، وهذا الذي قاله فيه تقوية لمذهب مالك في جوازه مطلقاً.

• **الرابع:** يحمل النهي في الحديث على التنزيه، والأدب، لا على التحريم وهذا مذهب ابن جرير، واستحسته الحافظ ابن حجر رحمه الله مع استغرابه له.

قلت: المذاهب الأربعة كلها قوية، والمذهب الأقرب فيما يظهر لي والله أعلم هو المذهب الثالث للكلام الذي ذكره الرافعي، وخصوصاً إن ثبت حديث: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»، وفي لفظ: «من تسمى باسمي فلا يكتني بكنيتي، ومن اكتني بكنيتي فلا يتسمى باسمي».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة بعد أن أشار إلى ترجيح المذهب الثالث من حيث الجواز: لكن الأولى الأخذ بالمذهب الأول؛ فإنه أبرأ للذمة وأعظم للحرمة، والله أعلم<sup>(١)</sup>. اهـ



(١) راجع لهذه المسألة فتح الباري (٦/٦٨٥) و(١٠/٧٠١) وما بعد، والمنهاج شرح صحيح مسلم (١٤/٣٣٩-٣٤٠)،

وكتاب الأذكار للنووي رحمه الله (ص ٣٧١ ط/ مكتبة المؤيد الطائف).

## إِبْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ .....

قوله (إِبْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ): نسبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

هو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذرّوة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم<sup>(١)</sup>، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفضاخ فخذة.

فهو أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال النووي رحمه الله في "المجموع شرح المذهب" (٧ / ١): إلى هنا مجمع عليه وما بعده إلى آدم مختلف فيه، ولا يثبت فيه شيء. اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (٧١ / ١): إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق (عدنان) مختلف فيه، ولا خلاف

(١) جاء هذا في حديث أبي سفيان الطويل أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧) وفيه: «ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال:

كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب».

بينهم أن (عدنان) من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. اهـ  
قال ابن كثير رحمه الله:

فجميع قبائل العرب ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان.  
وقد بين ذلك الحافظ أبو عمر النمري في كتاب (الإنباه بمعرفة قبائل الرواة) بياناً شافياً -:

وقريش على قول أكثر أهل النسب؛ هم الذين ينتسبون إلى فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة، وأنشدوا في ذلك:

قصي لعمرى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وقيل: بل جماع قريش هو النضر بن كنانة، وعليه أكثر العلماء والمحققين.  
واستدل على ذلك بالحديث الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر -: عن الأشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله في وفد كندة، فقلت: أستم منا يا رسول الله؟! قال: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة؛ لا نقفوا أمتنا، ولا نتنفي من أبيتنا»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح لغيره، أخرجه الطيالسي في مسنده (٣٧٧/٢-٣٧٨) برقم (١١٤٥) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١٧٣/١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٦٢/٢) برقم (٨٧٢) وعنه ابن ماجه في سننه (٨٧١/٢) برقم (٢٦١٢) وأحمد في مسنده (٢١١-٢١٢) وغيرهم: من طريق حماد بن سلمة عن عقيل بن طلحة، عن مسلم بن هيصم، عن الأشعث به، ورجاله ثقات غير مسلم بن الهيصم روى عنه جمع ووثقه جمع منهم ابن حبان وابن معين والنسائي والبوصيري وهو من رجال مسلم في صحيحه، وللحديث كذلك شاهد عند ابن سعد (٢٢/١-٢٣) عن الزهري مرسلًا وإسناده صحيح.

وقد رواه ابن ماجه في سننه بإسناد حسن، وفيه: فكان الأشعث يقول: «لا أوتي برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلده الحد»... إلى أن قال: وهذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابت بالتواتر والإجماع، وإنما الشأن فيما بعد ذلك، لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، وهو الذي يوحى على الصحيح من قول الصحابة والأئمة، وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام. فجميع قبائل العرب مجتمعون معه في عدنان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

قال ابن عباس ب: لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله فيهم قرابة. وهو صفوة الله منهم؛ كما رواه مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ق: «إن الله اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم»<sup>(١)</sup>. ... وكذلك بنو إسرائيل أنبياءهم وغيرهم يجتمعون معه في إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتابة ... ولم يولد من بني إسماعيل أعظم منه ق، بل لم يولد من بني آدم أحد ولا يولد إلى قيام الساعة أعظم منه ق. وأمه ق: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. اهـ باختصار<sup>(٢)</sup>



..... وهاشم من قريش وقريش من العرب .....

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٧٦) ونصه: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ،

وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

(٢) الفصول في سيرة الرسول ق (ص ٦-٩) ط/ دار الكتب العلمية.

قوله (وهاشم من قريش وقريش من العرب): قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "التفسير الكبير" (٦/٦): فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها فقيل لهم: عرب من الأعراب وهو البيان والإظهار. اهـ

### والعرب تنقسم إلى قسمين:

**عرب عاربة** - وهي الأصل في العرب - وهم القحطانيون.

**وعرب مستعربة**: وهم العدنانيون الذين ينتهي نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، والنبي ق من العرب المستعربة الذين يعود نسبهم إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

والعرب المستعربة أفضل من العرب العاربة؛ لماذا؟

لأن منهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو القائل: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»<sup>(١)</sup>.



وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِينَا أَفْضَلُ

الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.....

قوله (وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ): الدليل على أن العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ

(١) مسبق تخريجه.

وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾  
[البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

وقد سبق معنا نقل ابن القيم وابن كثير رحمهما الله الإجماع على أن (عدنان) من ولد  
إسماعيل وأن إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

ولادته ورضاعته ونشأته، وكم عُمر صلى الله عليه وسلم:

ولد ق يوم الاثنين، لحديث أبي قتادة أن النبي ق سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال:  
«ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت -أو أنزل عليّ- فيه» أخرجه مسلم، وفي لفظ له: «فيه  
ولدت وفيه أنزل عليّ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (٣/ ٣٧٤) ط/ هجر:

وهذا مما لا خلاف فيه أنه ولد ق، يوم الاثنين.

قيل: ليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل: لاثنتي عشرة خلت منه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (٣/ ٣٧٥): وهذا هو المشهور

عند الجمهور، والله أعلم.

**قلت:** وقيل غير ذلك، ولا خلاف أنه ق ولد عام الفيل<sup>(٢)</sup>.

ومات أبوه وهو حمل على الصحيح والمشهور ... دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ

يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، وما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن شهاب قال:

«... فلما ولدت آمنة رسول الله ق، بعد ما توفي أبوه،...»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٢).

(٢) نقل الإجماع جماعة من العلماء منهم ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٠)، وابن الجوزي في صفة

الصفوة (١/ ٥٢)، وإبراهيم بن المنذر الحزامي كما في البداية والنهاية (٣/ ٣٧٧) وغيرهم.



وغير ذلك من الأدلة، ورجح هذا القول كثير من العلماء منهم ابن كثير رحمه الله، وابن الجوزي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

قال المؤلف رحمه الله: وقد اختلف في وفاة أبيه: هل توفي بعد ولادته أو قبلها؟ والأكثر على أنه توفي وهو حمل<sup>(٣)</sup>. اهـ.

واسترضع له في بني سعد، فأرضعته حليلة السعدية بنت أبي ذئب وابنتها: أسماء بنت الحارثة السعدية أخت النبي ق من الرضاعة، وأقام عندها في بني سعد نحواً من أربع سنين، وشق عن فؤاده هناك، فردته إلى أمه، فخرجت به أمه إلى المدينة تزور أحواله بالمدينة، فتوفيت بالأبواء، وهي راجعة إلى مكة<sup>(٤)</sup>.

قال المؤلف رحمه الله: ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء، منصرفها من المدينة من زيارة أحواله، ولم يستكمل إذ ذلك ست سنين<sup>(٥)</sup>. اهـ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أقال: زَارَ النَّبِيَّ ق قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا - وفي لفظ: أن استغفر لأمي - فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٧١).

(٢) انظر الفصول في سيرة الرسول ق (ص ٩)، وصفة الصفوة (١ / ٥١).

(٣) مختصر سيرة الرسول ق (ص ٥٦ ط / دار السلام).

(٤) أي: المرة الأولى.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٩٧٦).

فلما ماتت أمه؛ حضنته أم أيمن واسمها بركة بنت ثعلبة بن حصن الحبشية وهي: مولاته، ورثها من أبيه، وكفله جده عبد المطلب، ورق عليه رقة لم يرقها على أولاده، فكان لا يفارقه، وما كان أحد من ولده يجلس على فراشه إلا رسول الله، فلما بلغ رسول الله من العمر ثماني سنين، توفي جده وأوصى به إلى عمه أبي طالب؛ لأنه كان شقيق عبد الله فكفله، وأحاطه أتم حياطة، ونصره حين بعثه الله أعز نصر، مع أنه كان مستمراً على شركه إلى أن مات، فخفف الله بذلك من عذابه كما في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وخرج به عمه إلى الشام في تجارة وهو ابن اثني عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به؛ لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة، فرأى هو وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه ق؛ ما زاد عمه في الوصاة به، والحرص عليه.

ثم خرج ثانياً إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها مع غلامها ميسرة على سبيل القراض<sup>(٢)</sup>، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، فرجع فأخبر سيده بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوجها، لما رجعت في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر ببال بشر، فتزوجها رسول الله وله خمس وعشرون سنة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣)، ومسلم برقم (٢٠٩) وجاء عن أبي سعيد رضي الله عنه نحوه أخرجه البخاري برقم

(٣٨٨٥)، ومسلم برقم (٢١٠).

(٢) القراض هو: المضاربة وهو أن يدفع المالك مالاً للعامل فيه والربح بينهما.

وهي كانت أكبر منه ل الله أعلم بسنها حين ذاك، وكان الله سبحانه قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته، حتى إنه لما بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه، فقالت كل قبيلة: نحن نضعها، ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم، فكان رسول الله ق فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه (١) (٢) .



وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.....

قوله (وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً): أي: توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة يدل على هذا حديث عائشة ل: أن النبي ق توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة (٣) .

(١) راجع الفصول في سيرة الرسول ق (ص ٩-١١) ط/ دار الكتب العلمية، ومختصر سيرة الرسول ق للمؤلف رحمه الله (ص ٥٦) وما بعدها.

(٢) من صحيح لغيره، أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٥) والحاكم في المستدرک (١/ ٤٥٨) من حديث مجاهد عن مولاة السائب بن عبد الله رضي الله عنه به، وسنده صحيح وله شاهد حسن يتقوى به عند أبي داود الطيالسي (١/ ١٠٨) رقم (١١٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٦) وغيرهم من حديث علي.

وله شاهد آخر مرسل عن ابن شهاب الزهري عند البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٧) وغيره.

فالحديث صحيح لغيره بمجموع شواهده والله أعلم.

(٣) من أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٦) ومسلم برقم (٢٣٤٩) واللفظ له.

وحدِيث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ» (١).

يدل على هذا حديث أنس في الصحيحين أنه قال: «بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَحَيْثِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ» (٢).

قال النووي رحمه الله: واتفقوا أنه ق أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقيل الهجرة والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثا وستين وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء وحكى القاضي عياض عن بن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه ق بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة (٣).

اهـ



### وَتَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا. نُبِيِّ بَاقِرًا.....

قوله (وَتَلَاثٌ وَعِشْرُونَ): سبق معنا أنه توفي ق على ثلاث وستون سنة، وأن

منها أربعون قبل النبوة، فتبين لنا زمن النبوة والرسالة أنه كان ثلاث وعشرون سنة.

قوله (نَبِيًّا رَسُولًا): سبق معنا في أول هذا الشرح تعريف النبي والرسول في

اللغة والشرع وبيان الفرق بينهما، فجدد به العهد.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٨)، ومسلم برقم (٢٣٤٧) واللفظ للبخاري.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٥/١٠٠).

قوله (نُبِّيَ بِأَفْرَأ): هذا على التغليب وإلا فهو نبي بخمس آيات من اقرأ كما سيأتي إن شاء الله في حديث عائشة ل.

### قصة بدء الوحي:

في الصحيحين عن عائشة ل زوج النبي ق قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ق الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - قَالَ: وَالتَّحَنُّنُ: التَّعَبُّدُ<sup>(١)</sup> - اللَّيَالِي ذَوَاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِدَلِكِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَّئَهُ الحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٢]- الآياتِ إِلَى قَوْلِهِ - ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] فَرَجَعَ بِهَا

رَسُولُ اللَّهِ ق تَرَجُّفُ بَوَادِرِهِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي»، فَرَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِحَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبَشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُجْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَتْ

(١) مدرجة من قول الزهري رحمه الله.

بِهِ وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أُخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَصَّصَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ أُخِيكَ، قَالَ وَرَقَّةُ: يَا ابْنَ أُخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ قِ حَبْرًا مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَّةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا، ذَكَرَ حَرْفًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَوْخَرَجِي هُمْ؟» قَالَ وَرَقَّةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا أَوْذِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ حَيًّا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَّةُ أَنْ تُوفِّي، وَقَتَرَ الْوَحْيُ فَبَرَّةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ (١).

وأرسل بالمدثر، وبلده مكة.

### فائدة:

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: قال: (أي: المؤلف) (أربعون قبل النبوة)، ثم قال: (نبي) وهذا لفظان مختلفان، فنبى من النبوة بالهمزة، ونبي من النبوة، وفرق بين النبوة والنبوءة، وفرق بين النبي والنبوءة، أما من حيث الشرع فالنبي والنبوءة واحد، وهما قراءتان مشهورتان سبعيتان متواتران في القرآن كله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١].

والقراءة الأخرى: (يا أيها النبي) و(النبين) والقراءة الأخرى و(النبئين) وهما قراءتان مشهورتان، وأشهر من يقرأ بالنبي عاصم، وأشهر من يقرأ بالنبي نافع، **والنبوة:** من الارتفاع، كأنه صار في نبوة من المكان، يعني في مرتفع منه، وسبب هذا الارتفاع الإنباء.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣) ومسلم برقم (١٦٠).

**والنبوءة:** من الإنباء، فأنباه أي: صار نبياً يعني منبئاً، ولا يصلح أن تقول: (نبي بـ) (اقرأ) لأن نبي من الارتفاع، وليس من الإنباء والإخبار والإيحاء.

إذن؛ فنقول: يأيها النبي، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ لأنه صار مرتفعاً عن غيره من أهل الأرض بما أوحى الله جل وعلا إليه <sup>(١)</sup>. اهـ

..... وَأُرْسِلَ بِالْمَدْثَرِ .....

قوله (وَأُرْسِلَ بِالْمَدْثَرِ): هذا كذلك على التغليب وإلى فهو أرسل بخمس آيات من المدثر كما في الصحيحين عن جابر ب قال: قال رسول الله ق وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجْرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ق: «فَجِئْتُ» <sup>(٢)</sup> ، وفي لفظ <sup>(٣)</sup>: «فرعبت منه فرقا»، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١] وَهِيَ الْأَوْثَانُ، قال: ثم تتابع الوحي <sup>(٤)</sup> بعد هذا شمّر النبي ق في الدعوة إلى الله عزوجل، وإنذار الأمة عن الشرك ودعوتهم إلى التوحيد.



..... وَبَلَدُهُ مَكَّةُ بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّدَارَةِ عَنِ الشَّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ .....

قوله (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ): هي بلدة التي ولد فيها ونشأ فيها، وهي البلدة التي نبي فيها، وهي التي أرسل فيها وهي التي بها عشيرته، وقومه وأهله وقرايته وهي أحب البقاع

(١) شرح الثلاثة الأصول (ص ٥٠٧-٥٠٨) ضمن جامع شروح ثلاثة الأصول.

(٢) هذان اللفظان لمسلم.

(٣) للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها (٤) ومسلم برقم (١٦١) واللفظ له.

إليه، وإنما أخرجه قومه منها ولم يخرج من نفسه كما في حديث ابن عباس ب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَطْيَبُكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»<sup>(١)</sup>.

وكما في حديث عبد الله بن عدي بن حمراء، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»<sup>(٢)</sup>.

قوله (بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ): هذا أمر لا شك فيه أن الله عز وجل أمره أمر كل نبي بالندارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وقد دل على ذلك القرآن كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

واتفقت عليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: وبالجمله فكتب الله -عز وجل- بأسرها، ورسله جميعاً متفقون على التوحيد والدعاء إليه، ونفي الشرك بجميع أقسامه<sup>(٣)</sup>. اهـ

(١) صحيح لذاته، أخرجه الترمذي برقم (٣٩٢٥) وابن ماجه (١٠٣٧/٢) رقم (٣١٠٨) والدارمي في سننه (٢/٢٣٩) بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وهو في الصحيح المسند (١/٥٧٤) برقم (٧١٠) للعلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وكذلك صححه العلامة الألباني رحمه الله في «مشكاة المصابيح» (٢/٨٣٢) رقم (٢٧٢٥).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٩٢٦) وابن حبان في صحيحه (٩/٢٣) برقم (٣٧٠٩) وفيه فضيل بن سليمان احتج به مسلم وضعفه ابن معين وأبو حاتم والنسائي، وقال الحافظ في التقریب: صدوق له أخطاء كثيرة. اهـ لكنه قد توبع وباقى رجال السند رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٦١) برقم (١٧٨٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في شعب الإیمان (٥/٤٦٥) رقم (٣٧٢٤)، وكذلك أخرجه المقدسي في المختارة (١٠/٢١٠) برقم (٢١٩).

(٣) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (١/٤٩١) ضمن كتاب الفتح الرباني (ط/ مكتبة الجيل الجديد).



## فائدة:

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله: فقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢] أي: أنذر عن الشرك، والإنذار إعلام فيه تخويف عن شيء يمكن تداركه لكن وقت تداركه يطول، بخلاف الإشعار، وعندنا ثلاثة ألفاظ: إعلام، وإنذار، وإشعار. فالإعلام: مجرد إيصال العلم، والإنذار: إعلام فيه تخويف، ويكون بعده مدة يكمن الاستدراك فيها.

**والإشعار:** إعلام فيه تخويف، لكن مدة استدراكه قليلة كما قال الشاعر:

أنذرت عمرا وهو في مهل      قبل الصباح فقد عصى عمرو

فقوله: (ينذر عن الشرك) أي: يخوف من النار، ومن عذاب الله، ومن سخطه، كما قال جل وعلا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] (١). اهـ

• **مسألة:** لماذا قدم الإنذار والنهي عن الشرك على الدعوة إلى التوحيد؟

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله: وقدم الإنذار والنهي عن الشرك، على الدعوة إلى التوحيد؛ لأن هذا هو المفهوم من كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٢، ٣]. وذكر العلماء أن ثم مناسبة هنا، وهي أن الإنذار عن الشرك فيه ما يسمى بالتخلية، والدعوة إلى التوحيد فيها ما يسمى بالتخلية، ومن القواعد المقررة أن التخلية تسبق التخلية، ولهذا فالنهي عن الشرك والإنذار عنه إخراج لكل ما يتعلق به القلب؛ لأنه

(١) شرح الثلاثة الأصول (ص ٥١٠) ضمن جامع شروح الثلاثة الأصول.

قال: لا يتعلق القلب بأحد من هذه الآلهة، ثم إذا خلا القلب من التعلق بأحد، فإنه يتعلق بالله جل وعلا وحده دون ما سواه<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله: وقدم المصنف النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد، لأن هذا مدلول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ولأن الآية الآتية تقتضي ذلك، فبدأ بجانب الشرك لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي، فلو وجدت والمنافي لها موجود لم تصح، ثم ثنى بالتوحيد، لأنه أوجب الواجبات، ولا يرفع عمل إلا به<sup>(٢)</sup>. اهـ



### وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ .....

قوله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ): الخطاب للنبي ق، والمعنى: يا أيها الذي قد تدثر بثيابه عند قومه، أي: تغشى بها، والدثار: هو ما يلبس فوق الشعار: من كساء وملابس وغيرها، وسيأتي إن شاء الله شرح بقية هذه الآيات والتعليق عليها عند تفسير المؤلف لها.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ولهذا خوطب بالمدثر، وهو المتدفئ من برد الرعب والفرع الحاصل بعظم ما دهمه لما رجع إلى خديجة ترجف بوادره<sup>(٣)</sup>. اهـ



(١) المصدر السابق (ص ٥١٠-٥١١).

(٢) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٤٧٧).

.....  
**﴿قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْتَبِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، وَمَعْنَى قُمْ فَأَنْذِرْ: يُنذِرُ عَنِ الشَّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، (وربك فكبر) أي: عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.....**

قوله (وَمَعْنَى قُمْ فَأَنْذِرْ: يُنذِرُ عَنِ الشَّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ): سبق معنى شرح هذه اللفظة وبيان ما هو الإنذار وذكرنا لماذا قدم الإنذار عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد.

قوله (وربك فكبر): أي: خُصَّ سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهنا فائدة لغوية وهي: تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وأصل الكلام كبر ربك.

قوله (أي: عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ): قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وفقه الله: هذه لا شك من الشيخ — تدل على العلم الغزير العظيم الذي يحتاج إلى إيضاح وبسط، **زَلِكْ أَنْ التَّكْبِيرِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَلَهُ خَمْسَةٌ مَوَارِدَ:**

١ - فتكبير الله جل وعلا يكون في ربوبيته، أي: اعتقاد أنه أكبر من كل شيء يُرى، أو يتوهم، أو يتصور أنه موجود، فهو أكبر من كل شيء في ربوبيته، وفي ملكه، وفي تصريحه لأمره، وفي خلقه، وفي رزقه، وفي إحيائه، وفي إماتته، إلى آخر معاني الربوبية،

قال جل وعلا: ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] فالله أكبر يشمل هذا المعنى، ويشمل غيره من معاني التكبير التي ستأتي.

٢- أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلهية والعبادة وحده دون ما سواه، فهو جل وعلا أكبر وأعظم وأجل من كل هذه الآلهة التي صُرفت لها أنواع العبادة.

٣- **وكذلك** أن تعتقد أن ربك أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته؛ فإنه في أسمائه أكبر من كل ذوي الأسماء، ويرجع الكبر هنا لما فيها من الحسن، والبهاء، والعظمة، والجلال، والجمال، ونحو ذلك.

وكذلك في الصفات، فصفاته عُلَا، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] يعني: له الاسم الأعلى، وقال جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال جلا وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ونحو ذلك.

٤- **كذلك** قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبَّرْ﴾ [المدثر: ٣] يعني: قضائه وقدره الكوني، فالله جل وعلا في قضائه وقدره الكوني أكبر، أي: أن قضائه وقدره له فيه الحكمة البالغة، وأما ما يقضيه ويقدره العباد لأنفسهم، فإن هذا يناسب نقص العبد.

٥- وتكبير الله جل وعلا في شرعه وأمره، يعني اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر فيما أمر به ونهى، وفيما أنزله من هذا القرآن العظيم، فهو أكبر وأعظم من كل ما يشرعه العباد، أو يحكمون به، أو يأمرون به وينهون عنه، ولهذا صارت كلمة (الله أكبر) من شعارات المسلمين العظيمة، فيدخلون في الصلاة بها، ويرددونها، وهي من الأوامر الأولى التي جاءت للنبي عليه الصلاة والسلام.

وإذا لاحظت هذه المعاني الخمسة وأنت تقرأ القرآن، فالآيات التي فيها ذكر تكبير الله تجد أن بعضها فيه ذكر الربوبية، وبعضها فيه ذكر الألوهية، وبعضها فيه ذكر الأسماء والصفات، وبعضها فيه ذكر قضاء الله الكوني، وبعضها فيه شرع الله جل وعلا<sup>(١)</sup>. اهـ



﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].....

قوله تعالى (وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ): ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية ثمانية أقوال:

● **أحدها:** لا تلبسها على معصية، ولا على غدر، روي عن ابن عباس وعكرمة، وقال ابن جرير: عليه أكثر السلف.

قال غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع

● **والثاني:** لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر روي عن ابن عباس أيضاً.

● **والثالث:** طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد وعكرمة يشهد له قول عنتره:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

● **والرابع:** وعمك فأصلح، قاله الضحاك، ومجاهد، وأبو رزين.

ومنه قول الشاعر:

لا هم إن عامر بن جهم أو ذم حجاً في ثياب دُسم

(١) شرح الثلاثة الأصول (ص ٥١١-٥١٢) ضمن جامع شروح الثلاثة الأصول.

• **والخامس:** خلقك فحسّن، قاله الحسن البصري والقرطبي، يشهد له قول

الشاعر:

ويحيى لا يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الأثواب حر

أي: حسن الأخلاق.

• **السادس:** وثيابك فقصر وشمّر، قاله طاوس.

• **والسابع:** قلبك فطهر، قاله سعيد بن جبير، ويشهد له قول امرئ القيس:

فإن يك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أي: قلبي من قلبك.

• **والثامن:** اغسل ثيابك بالماء، ونقّها؛ أي: من النجاسة قاله محمد بن سيرين،

وابن زيد، واختاره ابن جرير والشوكاني رحمهما الله، وقال: هو أظهر معانيه وهو

ظاهر الآية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما

قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدليل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي

وإن تك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل. اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: قلت: الآية تعم هذا كله وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظاً... اهـ المقصود<sup>(١)</sup>.

**قلت:** والأمر كما قال ابن كثير وابن القيم رحمهما الله: أن الآية عامة شاملة لهذه المعاني كلها، ولكن ظاهر الآية يدل على القول الثامن: أي: أنه أمر بتطهير ثيابه وغسلها من النجاسات وسياق الآية يدل على القول الرابع: أي أنه أمر بإصلاح وتطهير عمله من الشرك، وهذا هو الذي أراده المؤلف واستدل به، ولا يفهم من هذا أنه كان واقعاً في الشرك؛ لأن الأنبياء معصومون منه بالإجماع<sup>(٢)</sup>، ولكن هذا كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].



أَيُّ: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.....

قوله (أَيُّ: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرْكِ): أخذ المؤلف هذا التفسير من سياق الآية كما سبق معنا، وهذا يدل على تبحر المؤلف - في علم التفسير.

**فائدة:**

الطهارة طهارتان: ١ - حسية. ٢ - معنوية.

وكلا الطهارتين من الدين الذي أمر الله به وأجبه.

(١) راجع جامع البيان لابن جرير، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وزاد المسير لابن الجوزي، وروح المعاني للألويسي، وفتح القدير للشوكاني رحمهم الله جميعاً عند تفسير الآية التي ذكرها المؤلف، وانظر كذلك إغاثة اللفغان في مصائد الشيطان (١/٨٧-٩١) ط/ المكتب الإسلامي.

(٢) نقل الإجماع القاضي عياض في «الشعاع» (٢/٦٩٤)، وغيره، وانظر كذلك «الشفاء» (٢/٧٧٩) و(٢/٧٩٣).

**فالحسية:** هي طهارة البدن مثل: البول والغائط والدم وغير ذلك ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] أي: استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي: حتى يفعلن الطهارة التي هي الغسل أو ما يقوم مقامه، وغيرهما من الآيات.

**والمعنوية:** هي طهارة القلب وهي التي حمل عليها عامة الآيات كقوله تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وكقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وكقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وكقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] وغير ذلك من الآيات<sup>(١)</sup>.

قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله:

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة: (وَالرُّجْزَ) بكسر الراء، وقرأه بعض المكيين والمدنيين (وَالرُّجْزَ) بضم الراء، فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان، وقال: معنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها، واترك خدمتها، ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب، وقال: معناه: والعذاب فاهجر، أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر.

والصواب من القول في ذلك؛ أنها قراءتان معروفتان، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد، ولم نجد أحداً من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك، وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٥/١) ومفردات ألفاظ القرآن (مادة طهر).

(٢) جامع البيان عند تفسير هذه الآية.



**قلت:** اختلف المفسرون في معنى (الرجز) على ستة أقوال: ذكرها ابن الجوزي رحمه

الله:

- **أحدها:** أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس. ومجاهد، وعكرمة وقتادة، والزهري، والسدي، وابن زيد.
- **والثاني:** أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً.
- **والثالث:** الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك.
- **والرابع:** الذنب، قاله الحسن.
- **والخامس:** العذاب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: الرجز في اللغة: العذاب، ومعنى الآية: اهجر ما يؤدِّي إلى عذاب الله.
- **والسادس:** الشيطان، قاله ابن كيسان<sup>(١)</sup>. اهـ.

**قلت:** وأقرب الأقوال والله أعلم هو القول الأول أنه الأوثان، وهو الذي دل عليه سابق الآية وكذلك لما ثبت في الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه فسره بالأوثان<sup>(٢)</sup>.

وهو قول جماعة من المفسرين والمحققين، وهذا الذي اختاره المؤلف وكذلك يستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] وسميت الأوثان رجزاً؛ لأنها تؤدي إلى العذاب.

(١) انظر زاد المسير (١٤٧/٨) ط/ دار الكتب العلمية عند تفسير الآية.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٨)، ومسلم برقم (١٦١).

تنبيه:

قلنا الأوثان ولم نقل الأصنام؛ لأن الصنم يدخل في الوثن كما سيأتي إن شاء الله.



الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ.....

قوله (الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ):

**الأصنام:** جمع صنم وهو ما كان منحوتاً على صورة، كأن يجعل لنبي من الأنبياء صورة ويعبدها، أو يجعل لرجل من الرجال صورة ويسجد لها ويعبدها.

**والوثن:** يطلق على كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاقِبِينَ﴾ [الشعراء: ٧١]، وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصفات: ٩٥]، فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله يدل على ذلك أيضاً حديث أبي هريرة عن النبي ق قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً» الحديث<sup>(١)</sup>.

فدعا الله أن لا يجعل قبره وثناً، فدل على أن الوثن كل ما يعبد من دون الله، فعلى هذا فكل صنم وثناً وليس كل وثن صنماً، بينهما عموم وخصوص مطلق.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٤٦)، وأخرجه الحميدي برقم (١٠٢٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٢٤١-٢٤٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/٤٣-٤٤) من طريق سفيان بن عيينة، عن حمزة بن المغيرة، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به، وهذا إسناد حسن، لأن رجاله ثقات من رجال الصحيح، إلا حمزة بن المغيرة وهو نشيط المخزومي الكوفي، قال ابن معين: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، والحديث في الصحيح المسند (٢/٤١٣) برقم (١٤٤٣) للعلامة والوادي.

وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ  
يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.....

قوله (وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا): الإعراض عنها واجتنابها، وهجر الشيء يهجره: صرمه وقطعه؛ والهجر ضد الوصل، والنبى ق أمر بترك الأوثان، ومباعدتها ومصارمتها، وكذلك إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قوله (وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا): قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨] فلا يتم توحيد العبد حتى تتبرأ من الكفر وأهل الكفر ويأعدهم وينابذهم ويجتنبهم.

قوله (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ): قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله: أي: أخذ رسول الله ق في بيان التوحيد والدعوة إليه، وبيان الشرك والإنذار عنه، والتحذير منه عشر سنين، قبل فرض الصلاة التي هي عماد الدين، وقبل بقية الشرائع، وبهذا يتبين لك حقيقة ما بعث به النبي ق ودعت إليه الرسل كلهم هو إنذار عن الشرك، والنهي عنه، والدعوة إلى التوحيد، وبيانه وتوضيحه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبيا: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال عن نوح وهود وصالح وشعيب، أول شيء بدأوا به قومهم أن قالوا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وخاتمهم محمدق، أول شيء دعاهم إليه أن قال: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»<sup>(١)</sup>. فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقال ق لمعاذ، لما بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله»، وفي رواية: «فادعهم إلى توحيد الله»<sup>(٣)</sup>، وهذه الروايات يفسر بعضها بعضاً، فالنبي ق إنما بعث بالدعوة إلى التوحيد وذلك؛ لأنه أساس الملة الذي تبنى عليه، وبدونه لا ينبنى شيء من الأعمال. فالتوحيد هو الأصل، وبقية شرائع الدين فرع عنه، فإذا زال الأصل زال الفرع؛ فأبي بيان أبين من هذا؟ على أن التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض: كونه ق أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وينذر عن الشرك، قبل أن تفرض عليه الفرائض<sup>(٤)</sup>. اهـ.



(١) صحيح، أخرجه أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في صحيحه (٨٢/١) رقم (١٥٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠/١٤) برقم (١٨٤١٤)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ٦٣) مختصراً.

وأخرجه الدارقطني في سننه (٤٤/٣) برقم (١٨٦) وابن حبان كما في الموارد (ص ٤٠٦) مطولاً عن طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة وهو في الصحيح المسند (١/٤٤١-٤٤٣) برقم (٥٢٠) للعلامة الوادعي رحمه الله، والحديث من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلماً أن يخرجها.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٥-١٤٩٦) وغيره، ومسلم برقم (١٩) والأقرب أن السياق لمسلم رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٧٢).

(٤) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٨١-٨٢).

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ .....

قوله (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ): أي: أسري به ق و عرج به إلى السماء.

**والإسراء لغة:** السير بالشخص ليلاً وقيل: بمعنى سري، وشرعاً: سير جبريل بالنبي -ق- من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١] الآية.

والمعراج لغة: الآلة التي يُعْرَجُ بها وهي المصعد، وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله -ق- من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢] إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨].

### قصة الإسراء والمعراج

في الصحيحين عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ب: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيَّانَا، فَغَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضٌ، - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْحَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ

الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا  
بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ  
السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ،  
قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرَّحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا  
إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرَّحَبًا بِالْإِبْنِ  
الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ، فَإِذَا نَبُحُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا  
وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ  
ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ  
فَالنَّيْلُ وَالْفِرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ حَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ  
مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتِكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ  
الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ:  
أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي  
وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ  
فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ،  
فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي  
عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،  
فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،  
فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ  
خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ  
الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ،

وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأَسْلَمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»<sup>(١)</sup>.

### فائدة:

قال العلامة ابن كثير رحمه الله:

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه "التنوير في مولد السراج المنير" وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس، وتكلم عليه فأجاد وأفاد- ثم قال: وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حبة وأبي ليلي الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسما بنتي أبي بكر الصديق، Q أجمعين.

منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد.

وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨]<sup>(٢)</sup>. اهـ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٧)، ومسلم برقم (٨٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء.



## مسألة: متى كان الإسراء والمعراج؟

اختلف العلماء في تعيين زمن الإسراء والمعراج اختلافاً كثيراً:

**فَقِيلَ:** كان قبل المبعث، وهو شاذ، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، بل نقل الإجماع على ذلك.

قال القاضي عياض رحمه الله: والإسراء بالإجماع كان بعد المبعث<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله: وكان ذلك بعد المبعث بالاتفاق<sup>(٢)</sup>. اهـ

ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل الهجرة بثمانية أشهر، وقيل بستة أشهر، وقيل قبل الهجرة بسنة وشهرين، وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر، وقيل غير ذلك، وكل هذه الأقوال ليس عليها دليل، والصحيح أنه كان بعد البعثة وقبل الهجرة، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

## • مسألة: هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة.

قال البيهقي: - وفي رواية ثابت عن أنس دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس<sup>(٤)</sup>. اهـ

قال العلامة ابن كثير: - معلقاً على قول البيهقي: وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا مرية<sup>(١)</sup>. اهـ

(١) «الشفاء» (١/٢٥٤-٢٥٥).

(٢) زاد المعاد (١/٩٩).

(٣) راجع لهذه المسألة وذكر الخلاف الوفا بأحوال المصطفى (١/٣٤٩) لابن الجوزي، والبداية والنهاية (٤/٢٦٩-٢٧٠)، والمنهاج شرح صحيح مسلم (٢٧/٣٨٤) ط/ دار المعارف، وفتح الباري (٧/٢٥٤، ٢٥٥) ط/ دار السلام،

والجامع لأحكام القرآن للقرطبي عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٤) دلائل النبوة (٢/٣٨٥) ط/ دار الكتب العلمية.

• **مسألة:** هل حصل الإسراء مرة واحدة أو عدة مرارة.

اختلف العلماء في ذلك على عدة أقوال.

**والصحيح منها أنه:** حصل مرة واحدة كما قاله جميع من المحققين منهم: ابن كثير رحمه الله فقد قال في "تفسيره" بعد أن ذكر عدة أحاديث في الإسراء والمعراج: وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ق من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء، عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسرائات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب...

إلى أن قال: وهذا بعيد جدا، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ق به أمته، ولنقلته الناس على التعدد والتكرار<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال العلامة ابن القيم:- والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا<sup>(٣)</sup>. اهـ

(١) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) زاد المعاد (٣/٤٢).

• **مسألة:** هل كان الإسراء والمعراج بروحه وجسده.

اختلف السلف والخلف، والعلماء في ذلك على عدة أقوال أشهرها ثلاثة.

**الأول:** أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى.

**الثاني:** أنه كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح.

**الثالث:** أنه كان الإسراء بالجسد والروح معاً.

**قلت:** الصحيح من هذه الأقوال هو القول الثالث: أن الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه عليه الصلاة والسلام، وهذا هو مذهب جمهور العلماء والسلف والخلف، وهو الذي رجحه جمع من المحققين.

قال القاضي عياض:- والحق من هذا والصحيح -إن شاء الله- أنه بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآيات، وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة... (١) أه المقصود.

وقال ابن القيم:- ثم أسري برسول الله بجسده على الصحيح (٢). أه

وقال: ثم أسري بروحه وجسده إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى فوق السموات بجسده وروحه إلى الله عزوجل (٣). أه

وقال الحافظ ابن حجر:- فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ق وروحه بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء

(١) زاد المعاد (٣/٣٤).

(٢) زاد المعاد (١/٩٩).

(٣) الشفا بتحريف حقوق المصطفى (١/٢٤٨).

المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي

العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل<sup>(١)</sup>. اهـ

• **مسألة** هل كان الإسراء والمعراج بالنبي ق يقظة أو مناماً؟

اختلف العلماء في ذلك على عدة أقوال، ذكر ابن القيم - منها أربعة:

**الأول:** كان ذلك مناماً.

**الثاني:** يقال: أسري به، ولا يقال: يقظة ولا مناماً، أي: يتوقف فيها.

**الثالث:** كان الإسراء إلى بيت المقدس يقظةً، وإلى السماء مناماً.

**الرابع:** كان الإسراء مرتين، مرة يقظة ومرة مناماً.

**قلت:** والصحيح، أنه يقظة لا مناماً، لما سيذكر إن شاء الله وهو قول الجمهور من

السلف والخلف، والعلماء كما سبق معنا كلام الحافظ ابن حجر ورجح هذا جمع من المحققين.

قال القاضي عياض:- وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي

اليقظة، وهذا هو الحق وهو قول..... ثم سرد أكثر من عشرين رجل من الصحابة

والتابعين والعلماء ثم قال: وجماعة عظيمة من المسلمين وقول أكثر المتأخرين من

الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال رحمه الله: **وَلَيْسَ فِي الْإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ اسْتِحَالَةً، إِذْ لَوْ كَانَ مَنَامًا**

**لَقَالَ: بُرُوحَ عَيْدِهِ. وَلَمْ يَقُلْ بِعَيْدِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ وَلَوْ كَانَ**

**مَنَامًا لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلَا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه وَلَا ارْتَدَّ بِهِ ضَعْفَاءُ**

(١) فتح الباري (٧/٢٤٧).

(٢) الشفا (١/٢٤٦).

مَنْ أَسْلَمَ وَافْتَتِنُوا بِهِ إِذْ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لَا يَنْكُرُ، بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبْرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ، إِلَى مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ بَيِّنَتِ الْمُقَدَّسِ ... وذكر محيي جبريل بالبراق، وخبر المعراج، واستفتاح السماء؛ فيقال من معك؟ فيقول: محمد ولقائه الأنبياء فيها، وخبرهم معه، وترحيبهم به، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك .... إلى آخر كلامه (١).

ثم عقد رحمه الله فصلاً فيه إبطال حجج من قال إنها كانت مناماً، فراجعه إن شئت. وكذلك ذكر القرطبي - كلاماً نحو هذا في تفسيره.

وقال العلامة ابن كثير: - فالأكثر من العلماء على أنه أسري بيدنه وروحه يقظة لا مناماً (٢). اهـ.

وقال رحمه الله: والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناماً (٣). اهـ.



(١) الشفا (١/٢٤٨).

(٢) تفسيره عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٣) المصدر السابق، وراجع لهذه المسألة والتي قبلها الشفا (١/٢٤٥-٢٥٦)، وفتح الباري (٧/٢٤٧-٢٤٩) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وجامع البيان لابن جرير، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء، وزاد المعاد (١/٩٩-١٠٠) و(٣/٣٤-٤٠-٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢١٧-٢١٨) لابن أبي العز رحمه الله.

تنبيه: ذكرت هذه المسائل الخمس لتعلقها بمعرفة وسيرة النبي ق، وهذا هو الأصل الذي نحن في صدر شرحه، وتركت بعض المسائل التي تتعلق بالإسراء والمعراج تجدها في كتب أوسع من هذا والله يوفق الجميع.

## وَفَرَضْتُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ الْخُمْسَ.....

قوله (وَفَرَضْتُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ الْخُمْسَ): نعم فرضت عليه الصلوات الخمس في إسرائه وعرج به إلى السماء، وأول ما فرضها الله عز وجل، فرضها خمسون صلاة فراجع النبي ق الله عز وجل حتى خفف على أمته إلى خمس صلوات، كما في حديث مالك بن صعصعة الذي تقدم معنى في قصة المعراج، قال: «فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم» الحديث وجاء عن جمع من الصحابة غيره.

**قلت:** ونقل جمع من العلماء على هذا الإجماع، منهم القرطبي والنووي رحمة الله عليهما قال القرطبي -:

وأما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت، فلا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء، وذلك منصوص في الصحيح وغيره، وإنما اختلفوا في هيئتها حين فرضت... اهـ المقصود (١).  
وقال النووي -:

... ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء (٢). اهـ



## وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا أَمْرًا بِالْهَجْرَةِ فِي الْمَدِينَةِ.....

قوله (وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا أَمْرًا بِالْهَجْرَةِ فِي الْمَدِينَةِ): قال العلامة ابن القيم -: لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له ق وفتنتهم إياهم فأذن لهم رسول الله ق في الهجرة إلى الحبشة وقال: «إن بها ملكا لا يظلم الناس

(١) الجامع لأحكام القرآن عند تفسير الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٢/٣٨٤).

عنده» فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ق، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار، فبلغهم أن قريشاً أسلمت، وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا إلى مكة، فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان رجع منهم من رجوع ودخل جماعة، فلقوا من قريش أذى شديدا، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود.

ثم أذن لهم في الهجرة ثانيا إلى الحبشة، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا، إن كان فيهم عمار، فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشا، فأرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة، ليكيدوهم عند النجاشي، فرد الله كيدهم في نحورهم، فاشتد أذاهم لرسول الله ق فحصره وأهل بيته في الشعب شعب أبي طالب ثلاث سنين، وقيل سنتين، وخرج من الحصر وله تسع وأربعون سنة، وقيل ثمان وأربعون سنة، وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة، وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس، فنال الكفار منه أذى شديدا، ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير، فاشتد أذى الكفار له، فخرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله تعالى، وأقام به أياما فلم يجيبوه، وأذوه وأخرجوه، وقاموا له سباطين<sup>(١)</sup>، فرجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه، فانصرف عنهم رسول الله ق راجعا إلى مكة، وفي طريقه لقي عداسا النصراني، فأمن به وصدقه، وفي طريقه أيضا بنخلة صرف إليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين، فاستمعوا القرآن وأسلموا<sup>(٢)</sup>.

(١) أي جماعتين، من كل جانب جماعة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٥/٢١) عن ابن عباس رضي الله عنه: «وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» [الأحقاف: ٢٩] الآية قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ق رسلا إلى قومهم، وإسناده حسن.

وفي طريقه تلك أرسل الله إليه ملك الجبال يأمره بطاعته وأن يطبق على قومه أخشبي مكة، وهما جبلاها إن أراد، فقال: «لا، بل أستأني بهم، لعل الله يخرج من أصلاهم من يعبده لا يشرك به شيئا»<sup>(١)</sup>.

وفي طريقه دعا بذلك الدعاء المشهور: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي...»<sup>(٢)</sup>... الحديث.

فأقام ق بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله تعالى ويعرض نفسه عليهم في كل موسم أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة، فلم تستجب له قبيلة، وادخر الله ذلك كرامة للأنصار، فلما أراد الله تعالى إظهار دينه وإنجاز وعده ونصر نبيه وإعلاء كلمته والانتقام من أعدائه، ساقه إلى الأنصار لما أراد بهم من الكرامة، فانتهى إلى نفر منهم ستة.

**وقيل:** ثمانية وهم يخلقون رءوسهم عند عقبة منى في الموسم فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله، ورجعوا إلى المدينة، فدعوا قومهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ق.

(١) هو قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (١٧٩٥) بطوله.

(٢) (ضعيف) أخرجه بتأمله الطبراني في الدعاء (١٢٨٠/٢) رقم (١٠٣٦) وأخرجه كذلك في المعجم الكبير

(٧٣/١٣) رقم (١٨١) وابن عدي (٢٦٩/٧) ترجمة محمد بن إسحاق ومن طريقه أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق

(١٥٢/٤٩)، وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة من طريق الطبراني (١٨٠/٩-١٨١) وغيرهم من حديث عبد الله بن

جعفر، ورجاله ثقات غير أن فيه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث فالحديث ضعيف، قال

الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٦) فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ببقية رجاله ثقات. اهـ

وضعه العلامة الألباني رحمه الله في الضعيفة (٤٨٦-٤٨٧) برقم (٢٩٣٣).



فأول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زريق، ثم قدم مكة في العام القابل اثنا عشر رجلا من الأنصار، منهم خمسة من الستة الأولين.

فبايعوا رسول الله على بيعة النساء عند العقبة، ثم انصرفوا إلى المدينة، فقدم عليه في العام القابل منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، وهم أهل العقبة الأخيرة فبايعوا رسول الله على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم، فترحل هو وأصحابه إليهم، واختار رسول الله منهم اثني عشر نقيبا، وأذن رسول الله لأصحابه في الهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا متسللين، أولهم فيما قيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل مصعب بن عمير<sup>(١)</sup>، فقدموا على الأنصار في دورهم، فأووههم، ونصروهم، وفشا الإسلام بالمدينة، ثم أذن الله لرسول الله في الهجرة، فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول<sup>(٢)</sup>.

**وقيل:** في صفر، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، ومعه أبو بكر الصديق، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي، فدخل غار ثور هو وأبو بكر، فأقاما فيه ثلاثا، ثم أخذوا على طريق الساحل، فلما انتهوا إلى المدينة وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل غير ذلك، نزل بقاء في أعلى المدينة على بني عمرو بن عوف.

**وقيل:** نزل على كلثوم بن الهدم. وقيل: على سعد بن خيثمة، والأول أشهر، فأقام عندهم أربعة عشر يوما وأسس مسجد قباء، ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الجمعة في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٩٢٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار بن ياسر وبلال رضي الله عنهم، وانظر كذلك البخاري رقم (٣٩٢٥).

(٢) انظر صحيح البخاري برقم (٣٩٠٥-٣٩٠٦) حديث الهجرة الطويل عن عائشة رضي الله عنها.

بنيسالم، فجمع بهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة، ثم ركب ناقته وسار، وجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة، فيقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»<sup>(١)</sup> فبركت عند مسجده اليوم، وكان مربدا<sup>(٢)</sup> لسهل وسهيل غلامين من بني النجار، فنزل عنها على أبي أيوب الأنصاري، ثم بنى مسجده موضع المريد بيده هو وأصحابه بالجريد واللبن<sup>(٣)</sup>، ثم بنى مسكنه ومسكن أزواجه إلى جنبه وأقربها إليه مسكن عائشة، ثم تحول بعد سبعة أشهر من دار أبي أيوب إليها، وبلغ أصحابه بالحبيشة هجرته إلى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا فحبس منهم بمكة سبعة، وانتهى بقيتهم إلى رسول الله ق بالمدينة، ثم هاجر بقيتهم في السفينة عام خيبر سنة سبع<sup>(٤)</sup>.  
انتهى باختصار<sup>(٥)</sup>.



- (١) ضعيف، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٠٨/٢) عن أنس رضي الله عنه وفي سننه إبراهيم عن صرمة الأنصاري ضعيف، قال ابن معين: كذاب خبيث، وقال ابن عدي في «الكامل» (٢٥٢/١-٢٥٣): وعامة أحاديثه إما أن تكون مناكير المتن أو تنقلب عليه الأسانيد ويؤن على أحاديثه ضعفه. وانظر: السلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله (٢٣١٩/١٤) برقم (٦٥٠٨)، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٣٤٧/٢) برقم (٢٩٧٨) ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥٠٩/٢) قالوا: حدثنا عطاء بن خالد، قال: حدثني صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير وذكر القصة.
- (٢) المريد: بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموضع الذي يجفف فيه التمر، وقال الأصمعي: المريد: كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم، وبه سمي مريد البصرة؛ لأنه كان موضع سوق الإبل.
- (٣) هي عند البخاري في صحيحه برقم (٣٩٠٦) حديث الهجرة الطويل عن عائشة ونزول النبي ق على أبي أيوب أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٥٣).
- (٤) انظر القصة بطولها في صحيح البخاري برقم (٤٢٣٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
- (٥) زاد المعاد (١/٩٥-١٠٠).

وَالْهَجْرَةُ هِيَ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.....

قوله (وَالْهَجْرَةُ هِيَ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ):

**الهِجْرَةُ فِي اللُّغَةِ:** هِيَ تَرْكُ الشَّيْءِ وَالْإِنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.

**فِي الشَّرْعِ:** هِيَ كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

• **مَسْأَلَةٌ:** مَا هُوَ بِلَادُ الشِّرْكِ وَمَا هُوَ بَلَدُ الْإِسْلَامِ.

قال العلامة العثيمين رحمه الله:

**وبلد الشرك هو:** الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام

كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجهها شامل، وإنما قلنا على وجه

عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها

أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر

الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام

شامل<sup>(١)</sup>. اهـ

إشكال وجوابه:

**الإشكال:** عرف العلماء الهجرة في الشرع بأنها الانتقال من بلد الشرك إلى بلد

الإسلام، فكيف سميت هجرة الصحابة من مكة إلى الحبشة هجرة وهي بلد كفر ليست

بلد إسلام، وهل في القصة دليل على أنه يجوز الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الكفر.

**الجواب:** هذا ليس فيه دليل على أنه يجوز الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الكفر كما

يقوله بعض الذين لا يفقهون المسألة وليس لهم خبرة بالفتاوى السديدة؛ لأنه ليست فيه

فائدة من الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الكفر.

(١) شرح ثلاثة الأصول (١٢٩-١٣٠).

ويجاب عن القصة بعدة أجوبة:

- ١ - أن الهجرة تطلق في اللغة على ترك الشيء والانتقال من مكان إلى مكان، فالمعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي، فهذا الإطلاق من باب اللغة العربية.
  - ٢ - أنهم لما اشتد أذى المشركين عليهم، ولم يستطيعوا أن يقيموا دينهم فهاجروا من دار الخوف إلى دار الأمن.
  - ٣ - كان هذا بأمر النبي ق والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] وبأمر من في هذا الزمان، والله المستعان.
  - ٤ - لم يكن في ذلك الوقت بلاد إسلام، أما الآن فبلاد الإسلام كثيرة والله الحمد والمنة.
  - ٥ - أن النجاشي ملك الحبشة لم يكن يظلم عنده أحد، فاستطعوا أن يقيموا دينهم.
  - ٦ - أن هجرتهم في الحقيقة هي رحلة دعوية لتبليغ دين الله عز وجل.
- وبهذا إن شاء الله يكون زال الإشكال، ولم يبق في القصة دليل على الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الكفر، والحمد لله رب العالمين.
- قال أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي رحمه الله:

وهي تنقسم إلى ستة أقسام:

- **الأول:** الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، ... فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام، فإن بقي في دار الحرب عصي، ويختلف في حاله.
- **الثاني:** الخروج من أرض البدعة [أي: إلى السنة]، قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سبب فيها السلف. وهذا صحيح، فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ

عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿الأنعام: ٦٨﴾.

• **الثالث:** الخروج من أرض غلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

• **الرابع:** الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن لله سبحانه له في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور. وأول من فعله حفظناه فيه الخليل إبراهيم عليه السلام، لما خاف من قومه قال: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾، وقال: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾. وقال مخبراً عن موسى: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾.

• **الخامس:** خوف المرض في البلاد الوخمة والخروج منها إلى الأرض النزهة، وقد أذن ق للراحة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصبحوا. وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون، فمنع الله سبحانه منها الحديث الصحيح عن نبيه ق ....

• **السادس:** الفرار خوف الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو أكد<sup>(١)</sup>.



(١) أحكام القرآن (١/٤٨٤-٤٨٦) ونقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٤٩، ٣٥٠) عند تفسير الآية رقم

(١٠٠) من سورة النساء.

وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.....  
 قوله (وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ  
 الْإِسْلَامِ): وكذلك من دار البدعة إلى دار السنة، ومن دار المعصية إلى دار الطاعة، ومن  
 دار الحرام إلى دار الحلال، ومن دار الخوف إلى دار الأمان .

والمقصود بالفرضية هنا فرض عين على كل واحد لا يستطيع أن يقيم دينه إلا من  
 استثنى بدليل كالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان وغيرهم .  
 وقد دل على وجوب الهجرة الكتاب والسنة وإجماع العلماء .

**أما الكتاب؛** فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ  
 قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ  
 مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا  
 إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

**وأما السنة؛** ما أخرجه أحمد عن أبي العلاء بن الشخير قال: كُنْتُ مَعَ مُطَرِّفٍ فِي  
 سُوقِ الْإِبِلِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ مَعَهُ قِطْعَةٌ أَدِيمٍ، أَوْ جِرَابٍ، فَقَالَ: مَنْ يَقْرَأُ؟ أَوْ فِيكُمْ مَنْ  
 يَقْرَأُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخَذْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ  
 لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ، حَيٍّ مِنْ عُكْلٍ، إِنَّهُمْ إِنْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ  
 اللَّهِ، وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ، وَأَقْرَبُوا بِالْخُمْسِ فِي غَنَائِمِهِمْ، وَسَهْمِ النَّبِيِّ قِ وَصَفِيَّةَ، فَإِنَّهُمْ  
 آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (١) .

(١) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٧٧-٧٨/٥) من طريق إسماعيل بن علي بن الجريري عن أبي العلاء ابن الشخير به،  
 وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات من رجال الشيخين غير الصحابي المبهم، وأخرجه أبو داود برقم (٣٩٩٩)، والنسائي

**وأما الإجماع؛** فقد قال العلامة ابن كثير - عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية. <sup>(١)</sup> اهـ  
وقال العلامة العثيمين:-

فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. <sup>(٢)</sup> اهـ



.....  
وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.....  
قوله (وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ): يدل على هذا الحديث الذي سيذكره المؤلف:- «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وكذلك دل على هذا إجماع من يعتد به.

في سننه (١٣٤/٧) وغيرهم من طرق عن سعيد الجريري بدون تسمية الرجل المبهم وجاء التصريح باسم الصحابي وأنه النمير بن ثولب العكلي عند ابن قانع في معجم الصحابة (١٦٥/٣) رقم (١١٤٠)، والمعجم الأوسط (١٥٩/٥) برقم (٤٩٤٠) وغيرهم.

والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨٥٧) والعلامة الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٤٢٣/٢، ٤٢٤) برقم (١٤٥٨).

(١) في تفسيره عند تفسير الآية رقم (٩٧-٩٩) من سورة النساء.

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٣٠).

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم-: هذا باتفاق من يعتد به من أهل العلم، قال شيخ الإسلام: لا يسلم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال ابن قدامة -: حكم الهجرة باق لا ينقطع إلى يوم القيامة في قول عامة أهل العلم<sup>(٢)</sup>. اهـ

وقال ابن العربي -: وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة. اهـ

### ● مسألة:

ما الجمع بين حديث ابن عباس ب أنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ق يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَاَنْفِرُوا» الحديث، أخرجاه في الصحيحين<sup>(٣)</sup>.

وفي مسلم عن عائشة ل أن رسول الله ق سئل عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَاَنْفِرُوا»<sup>(٤)</sup>.

وحديث عبد الله بن السعدي أن النبي ق قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل»<sup>(٥)</sup>.

(١) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٨٣).

(٢) أحكام القرآن (٤٨٤١١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨٣٤)، ومسلم برقم (١٣٥٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٦٤).

(٥) صحيح لغيره، أخرجه أحمد في المسند (١٩٢/١) قال: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد، يرده إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدي به.

قلت: وهذا إسناده حسن رجاله ثقات غير ضمضم بن زرعة فيه كلام يسير ينزله عن رتبة الصحيح، وللحديث طريق أخرى عند أحمد في المسند (٢٧٠/٥) وغيره يرتقي بها إلى الصحة والله أعلم، وانظر الإرواء رقم (١٢٠٨).



**الجواب:** قال العلامة النووي: قال العلماء الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وفي تأويل هذا الحديث قولان:

**أحدهما:** لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار إسلام وإنما تكون الهجرة من دار الحرب وهذا يتضمن معجزة لرسول الله بأنّها تبقى دار الإسلام لا يتصور منها الهجرة.

**والثاني:** معناه لا هجرة بعد الفتح فضلها كفضلها قبل الفتح كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] (١). اهـ  
وقال الحافظ ابن حجر:—

المعنى أن وجوب الهجرة من مكة انقطع بفتحها، إذ صارت دار إسلام (٢).  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:—

وقد قال ق: «لا هجرة بعد الفتح؛ ولكن جهاد ونية؛ وإذا استنفرتم فانفروا»، وقال: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو»، وكلاهما حق. فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه وهي الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب وكان الإيمان بالمدينة فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام ودخلت العرب في الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار الإسلام فقال: «لا هجرة بعد الفتح» وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٩/١٢٧-١٢٨).

(٢) فتح الباري (٤/٦٢) تحت حديث رقم (١٨٣٤).

ليست صفة لازمة لها؛ بل هي صفة عارضة بحسب سكانها فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم<sup>(١)</sup>. اهـ



### وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على وجوب الهجرة.

سبب نزول هذه الآية: قال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِيُّ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، وَعَيْرُهُ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعَثُ، فَاكْتَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَهَآئِنِ عَن ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكْثِرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ق، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرَبُ فَيَقْتُلُ» - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] الآية رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَن أَبِي الْأَسْوَدِ<sup>(٢)</sup>. اهـ



(١) مجموع الفتاوى (٢٨١-٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٩٦-٧٠٨٥)، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند الآية وابن جرير في تفسيره (٣٨٢-٣٨٣) عند الآية والطحاوي كما في مشكل الآثار (٣٢٧/٤) وغيرهم.

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ .....

قوله (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ): أي: الذين تقبض أرواحهم من أبدانهم الملائكة: والمقصود بالملائكة: ملائكة الموت لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

قوله (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ): أي: في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة، من أرض يجب عليهم الهجرة منها، فهذا معصية وظلم لأنفسهم.

قوله (قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ): سؤال توبيخ أي: في أي شيء كنتم من أمور دينكم، وقيل: معنى السؤال التفرغ لهم بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، والذي يظهر أنه يشمل الأمرين.

قوله (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ): أي: في مكة لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض.

قال ابن جرير الطبري - يعني: قال الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، يستضعفنا أهل الشرك الله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله ق، معذرة ضعيفة وحجة واهية<sup>(١)</sup>. اهـ.



(١) مجمع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ٣٧٩) عند تفسير الآية المذكورة.

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأَوْلِيكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا  
يَسْتَطِيعُونَ.....

قوله (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا): قيل المراد بهذه الأرض المدينة، والصحيح أنها عامة في جميع الأرض، لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيراد بها على هذا كل بقعة من بقاع الأرض تصلح الهجرة إليها. قال ابن جرير-: يعني قالت لهم الملائكة الذين يتوفونهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، يقول: فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله ق، إلى الأرض التي تمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيّه ق<sup>(١)</sup>. اهـ

قوله (فَأَوْلِيكَ): أي: الذين سبق ذكرهم ووصفهم وهم الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم.

قوله (مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ): أي: مصيرهم ومثوالم في الآخرة جهنم وهي اسم من أسماء النار أنجاني الله وإياكم منها .

قوله (وَسَاءَتْ مَصِيرًا): يعني ساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها مصيراً ومرجعاً ومرداً ومسكناً، وهذا ذم من الله عزوجل على الذين أسلموا ولم يهاجروا من أي بلد وجب الهجرة منها إلا الذين عذرهم الله.

(١) المصدر السابق (٧/٣٧٩-٣٨٠).

قوله (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ):

قال ابن جرير الطبري:-

ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان، وهم العجزة عن الهجرة بالعُسرة، وقلة الحيلة، وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام، من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم: أن تكون جهنم مأواهم، للعدر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال أبو الفداء إسماعيل ابن كثير:-

هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق<sup>(٢)</sup>. اهـ.



حِيلَةٌ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا\* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ\*..

قوله (حِيلَةٌ): الحيلة لفظ عام لأنواع أسباب التخلص.

قوله (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا): قيل السبيل: سبيل المدينة والصحيح أنه عام في جميع السبل، أي: الطرق للتخلص من بلد المشركين قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: قال عبيد الله: سمعت ابن عباس يقول: كنت أنا وأمّي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمّي من النساء<sup>(٣)</sup>.

(١) مجمع البيان (٧/ ٣٨٠).

(٢) تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٥٨).

قوله (فَأَوْلِيكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ): أي: يتجاوز عنهم بتركهم الهجرة للعذر الذي هم فيه وهم مؤمنون، ولكن لم يجدوا طريقاً للتخلص من هذا الأمر وعسى من الله موجبة، وكان من المستضعفين الذين عفى الله عنهم: ابن عباس وأمه وعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد.

أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس أنه تلا: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٩٨] قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: بَيْنَا النَّبِيُّ قِيصَلِي الْعِشَاءِ إِذْ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ: اللَّهُمَّ نَجِّ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِينَ يُوسُفَ»<sup>(٢)</sup>.



وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

قوله (فَاعْبُدُونِ): قال العلامة ابن كثير رحمه الله: هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرين فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم<sup>(٣)</sup>. اهـ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٠٤-١٠٠٦-٤٥٩٨ وغيره)، ومسلم برقم (٦٧٥).

(٣) من تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

قوله (قال البغوي رحمه الله): هو الإمام الحافظ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر كان يلقب بمحيي السنة له تصانيف كثيرة منها (شرح السنة)، و(معاني التنزيل) وغيرها، توفي سنة (٥١٦ هـ)<sup>(١)</sup>.

قوله (قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان): كأن المؤلف نقله بالمعنى، وهذا لفظه في (معالم التنزيل) قال: قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، وإن أرضي -يعني المدينة- واسعة آمنة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

**قلت:** ولا يصح شيء في سبب نزول هذه الآية.

وأما معنى الآية فقد سبق معنى من كلام ابن كثير رحمه الله.

فدلت هذه الآية والتي قبلها على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلد الإسلام، وأن الذي لا يهاجر من بلد الشرك الذي لا يستطيع أن يقيم دينه فيه وهو قادر ليس من المستضعفين تتوافه الملائكة ظالماً لنفسه وأن مأواه جهنم وبئس القرار، وما أكثر غفلة المسلمين في هذا الزمان على هذا والله المستعان.



(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩، ٤٤٣).

(٢) معالم التنزيل (٦/٢٥١).

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على وجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأنها باقية إلى يوم القيامة من السنة، أي: أحاديث النبي ق التي أمرنا باتباعها، والعمل بها، والحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله حديث حسن<sup>(١)</sup>.

قوله (السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ»): أي: لا تنقطع الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

قوله (حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ): أي: حتى لا تقبل التوبة ممن تاب، فدل هذا الحديث على أن التوبة ما دامت مقبولة، فالهجرة واجبة بحالها.

قوله (وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا): فإذا طلعت الشمس من مغربها وقت قيام الساعة وحينئذ انتهى الوقت التي تقبل فيه التوبة، وانتهى الوقت التي يقبل فيه العمل الصالح.

قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. والمراد ببعض الآيات هنا طلوع

(١) (حسن لغيره) أخرجه أحمد في مسنده (٩٩/٤)، وأبو داود في سننه برقم (٢٤٧٩)، والدارمي في سننه (٢/٢٣٩-٢٤٠) والنسائي في السنن الكبرى (٢١٧/٥) برقم (٨٧١١) والبيهقي في السنن الكبرى (٩-١٧) وغيرهم من طريق أبي هند البجلي عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ق يقول وذكره، وأبو هند البجلي مجهول، وباقي رجال السند ثقات ولكن لم يتفرد أبو هند بالحديث، فقد أخرجه أحمد في المسند (١/١٩٢) من طريق أخرى سندها حسن، وقد سبق معنا تخريجها، والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في إرواء العليل (٥/٣٣-٣٤) رقم (١٢٠٨).



الشمس من مغربها كما في الصحيحين عن أبي هريرة أقال: قال رسول الله ق: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيَّهَا، فَذَٰكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]». والأحاديث في أن التوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها كثيرة منها، حديث أبي موسى الأشعري اعن النبي ق قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١).

وحديث أبي هريرة أقال: قال رسول الله ق: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٢).

فتبين لنا من هذا أن الهجرة لا تنقطع حتى تقوم الساعة.

### تنبيه:

ذكر العلامة العثيمين رحمه الله في شرحه ثلاثة الأصول في هذا الموضوع مبحثاً نفسياً لا يستغني عنه طالب العلم في حكم السفر إلى بلاد الكفر وشروط، وأقسام الإقامة في بلاد الكفر مع توجيهات ونصائح طيبة فراجع (٣).



(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٣٥-٤٦٣٦)، ومسلم برقم (١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٠٣).

(٣) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٣١-١٣٨) ولم نذكره هنا خشية التطويل، والله ولي التوفيق.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ  
الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ،  
وَالْجِهَادِ.....

قوله (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ): قال العلامة العثيمين رحمه الله: يقول المؤلف - لما استقر - أي النبي ق - في المدينة النبوية أمر ببقيّة شرائع الإسلام وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة لكنها لم تقدر أنصابتها ولم يقدر الواجب فيها وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤١] ومثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمُحْرَمِ﴾ [سورة المعارج، الآيتين: ٢٤-٢٥] وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابتها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم (قلت: وهو قول الجمهور) وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ق فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) شرح ثلاثة الأصول (١٣٩-١٤٠).



**أما الأدلة من السنة فكثيرة جداً ومنهم أجمعها؛** حديث أبي سعيد الخدري  
 أقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ  
 فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

والأمر في هذا الحديث للإيجاب بالإجماع<sup>(٢)</sup>، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 من واجبات الإيمان ودعائم الإسلام.  
 والخطاب في الحديث موجه لكافة الأمة.

قال ابن الملقن رحمه الله: هذا الخطاب للأمة أجمع، الحاضر له والغائب؛ فالحاضر  
 يعلم الغائب، وهذه الرؤية يحتتمل أن تكون بصرية، والأشبه أنها علمية<sup>(٣)</sup>. اهـ  
 وقال المناوي رحمه الله: «من رأى» يعني: علم «منكم» معشر المسلمين المكلفين  
 القادرين فالخطاب لجميع الأمة حاضرها بالمشافهة وغائبها بطريق التبعية أو لأن حكمه  
 على الواحد حكمه على الجماعة<sup>(٤)</sup>. اهـ

**أما إجماع الأمة؛** فقد قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على وجوب الأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر عليهم بأيديهم وبألسنتهم إن استطاعوا ذلك<sup>(٥)</sup>. اهـ  
 المقصود

وقال النووي رحمه الله: وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٥).

(٢) نقل الإجماع جمع من العلماء منهم القرطبي في «المفهم» (١/٢٣٣)، والنووي في شرح مسلم (١/٢١٢)، وابن دقيق العيد  
 في شرح الأربعين (٤٨٠) ضمن مجموع شروح الأربعين النووية.

(٣) المعين على تفهم الأربعين (ص ٢٩١).

(٤) فيض القدير (٦/١٦٩).

(٥) من رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٩٥).

إلا بعض الرافضة قاتلهم الله ولا يعتد بخلافهم... فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة<sup>(١)</sup>. اهـ.

### • مسألة:

#### وظائف الإنكار:

دَلَّ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الذي سبق معنا، وفي معناه حديث ابن مسعود عند مسلم، وفيه: «فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»<sup>(٢)</sup> أن وظائف الإنكار ثلاثة:

**أولها:** الإنكار باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته.

**وثانيها:** الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير.

**وثالثها:** الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (٢/٢٤٥): بعد أن ساق عدة أحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فدلّت هذه الأحاديث كلها

(١) شرح مسلم (٢١٢/١) ونقل قبله الإجماع القاضي عياض في إكمال المعلم (١/٢٨٩)، والقرطبي في المفهم (١/٢٣٣)، ونقله كذلك ابن الملقن في المعين على تفهم الأربعين (ص ٢٨٨)، وابن دقيق العيد في شرح الأربعين (ص ٤٨٠) ضمن مجموع شروح الأربعين النووية وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٥٠).

على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأما إنكاره بالقلب لا بد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر، دل على ذهاب الإيـان من قلبه. اهـ

### ● مسألة:

هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين أم فرض كفاية.

اختلف في هذا العلماء على قولين:

**الأول:** ذهب طائفة من أهل العلم أنه فرض عين على كل قادر.

**الثاني:** وذهب طائفة أخرى وهم الأكثر على أنه فرض كفاية، إذا قام به البعض

سقط عن الآخرين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، وهذا هو الصحيح، وهو الذي نص عليه جمع من العلماء<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمه الله:

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقيـن وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف<sup>(٢)</sup>. اهـ

### ● مسألة:

هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محصور على طائفة مخصوصة؟

(١) منهم ابن العربي في أحكام القرآن (٣١٣/١)، والنووي في شرح مسلم (٢١٣/١)، والقرطبي في المفهم (٢٣٣/١)،

وابن دقيق العيد في شرح الأربعين (ص ٤٨٠) ضمن مجموع شروح الأربعين النووية، والطوفي في التعمين في شرح

الأربعين (ص ٢٨٨)، وابن الملقن في المعين على تفهم الأربعين (ص ٢٨٨).

(٢) المصدر السابق.

تبين لنا من خلال الأدلة التي سقناها منها حديث أبي سعيد وكلام العلماء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضيته شاملة لكل مسلم مكلف من ذكر أو أنثى وحر وعبد وعالم وجاهل، وعدل وفاسق وحاكم ومحكوم، ممثلاً ما أمر به أو لم يكن ممثلاً، وهذا قول جمهور العلماء.

وذهب بعضهم؛ أنه خاص بالحكام، وهذا خطأ واضح مخالف لعموم الأدلة، وجمهور العلماء.

قال النووي رحمه الله: قال العلماء ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لأحد المسلمين قال إمام الحرمين والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاية في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاية بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية والله أعلم<sup>(١)</sup>. اهـ

**قلت:** وذكر العلماء شروطاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحكاماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولماذا يأمر الإنسان بالمعروف وينهى عن المنكر وغيرها من المسائل المتعلقة به تجدها إن شاء الله في كتاب أوسع من هذا والله ولي التوفيق<sup>(٢)</sup>.



وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ. وَتُوفِّيَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.....

(١) المنهاج في شرح مسلم (١/٢١٣).

(٢) انظر شيئاً منها في جامع العلوم والحكم (٢/٢٥٥-٢٥٦)، وشرح مسلم للنووي (١/٢١٣) وما بعد، وأضواء البيان

(٢/١٧٢) وما بعد.

قوله (وغير ذلك من شرائع الإسلام): كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وسائر مكارم الأخلاق.

قوله (أخذ على هذا عشر سنين): أي: بعد هجرته ق وفي هذه العشر سنين كان ينزل على رسول الله ق الوحي وشرائع الإسلام من أركانها وواجباتها ومستحباتها وما ينافي ذلك كله.

قوله (وتوفي صلوات الله وسلامه عليه): سبق معنا أنه توفي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الاثنين، بعد أن كمل الله به الدين، وأتم به النعمة على المؤمنين، فالرسول ق من البشر يلحقه ما يلحقهم من الموت والمرض وغيره ليس له شيء من خصوصيات الربوبية والألوهية.

وقد دل على موته ق الكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب؛** كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

**وأما الأدلة من السنة فكثيرة منها؛** حديث عائشة ل وفيه: فكشفت عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى، فقال: «بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أمّا الموتة التي كتبت عليك فقد متها»<sup>(١)</sup>.

**وأما الإجماع؛** فقد قال العلامة الفوزان حفظه الله: فقد أجمعت الأمة على وفاته ق لم يخالف في هذا إلا المخرفون الذين يقولون: إن الرسول ما مات،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٤١، ١٢٤٢، ٤٤٥٢، ٤٤٥٣).



وينفون الموت عن الرسول ق، هذا كلام ساقط كلام مردود واضح، يرده الحسن والواقع، فإن الرسول ق توفي بين أصحابه وغسل وكفن وصلي عليه ودفن عليه الصلاة والسلام في قبره.

هذه سنة الله عز وجل في خلقه، ثم أين الرسل الذين من قبله؟ سنته سنة الرسل الذين من قبله وقد ماتوا وهو واحد منهم يموت، هذا بإجماع أهل السنة والجماعة ولم يخالف في هذا إلا المخرفون الذين يتعلقون على الرسول ق ويستغيثون به من دون الله ويقولون: هو حي<sup>(١)</sup>. اهـ.

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ.....  
 قوله (وَدِينُهُ بَاقٍ): فالنبي ق مات لكن دينه لم يموت، دينه باق إلى قيام الساعة، فلا يقبل الله عز وجل من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].  
 وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قوله (وَهَذَا دِينُهُ): الضمير يرجح إلى ما سبق ذكره في هذه الرسالة، وهو معرفة العبد ربه عز وجل ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ومعرفة العبد نبيه ق.



(١) شرح الأصول الثلاثة (ص ٢٧٥).

لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكَ

قوله (لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ): وهذا من حرصه على نفع أمته ورحمته بهم عليه الصلاة وأزكى التسليم، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقوله ق: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»<sup>(١)</sup>.

وقال رجل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «قَدْ عَلَّمَكُم نَبِيِّكُمْ ق كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ»<sup>(٢)</sup>، يعني هيئة الجلوس أثناء قضاء الحاجة، فالنبي ق بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فهو شهيد على أمته يوم القيامة.

قوله (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ): وهو أصل الأصول وأول وأوجب الواجبات، وأعظم الحسنات؛ ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب وهو مفتاح كل خير... فهو أعظم وأعلى خير دل عليه، ويتبعه جميع الأمور من الفرائض والواجبات والمتسحبات.

(١) من أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) من أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قوله (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ): أي:

جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قوله (وَالشِّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ): وهو أصل كل شر وأعظم السيئات،

وأعظم ذنب عصي الله به، والجريمة الكبرى في حق الله، كيف لا يكون وهو الذي قال

الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال فيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وغيرها من الأدلة.

بل أول ما أمر به في الإنذار عنه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١،

٢] أي: عن الشرك.

وكذا كل رسول يحذر أمته عن الشرك ويدعوهم إلى التوحيد، فالنبي ق حذر من

الشرك بأنواعه، بل حذر من الطرق والوسائل التي تفضي إليه <sup>(١)</sup>.



وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ فِي النَّاسِ كَافَّةً.....

قوله (وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ): أي: يمنعه من الأقوال والأعمال.

(١) انظر كتاب دعوة التوحيد للهراس (ص ٦٦-٦٩) فإنه ذكر فصل (احتياط الشرع لتوحيد الإلهية) أي: سد الطرق

الموصلة إلى الشرك تضمن جملة هائلة من الأدلة في ذلك، فراجع له لأهميته.

قوله (بَعَثَهُ اللهُ فِي النَّاسِ كَافَّةً): أي: نبينا محمد ق بعثه الله إلى جميع الناس، عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، حرهم وعبدتهم، أصفرهم وأسودهم، برهم وفاجرهم، ومسلهم وكافرهم.

وقد دل على هذا الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

**أما الكتاب؛** كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

**وأما السنة؛** فحديث جابر بن عبد الله بن النبي ق قال: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ يُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»<sup>(١)</sup>.

**وأما إجماع المسلمين؛** فقد قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله: ولا نزاع في ذلك بين المسلمين<sup>(٢)</sup>. اهـ

### ● مسألة:

ما حكم من اعتقد أن رسالة النبي ق خاصة بالعرب؟  
من اعتقد أن رسالة النبي ق خاصة بالعرب فهو كافر مكذب للكتاب والسنة والإجماع، فلا يحكم بإسلامه.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥-٤٣٨)، ومسلم برقم (٥٢١) واللفظ للبخاري وعند مسلم: «وبعثت إلى كل أحر

وأسود» بدل «بعثت إلى الناس عامة».

(٢) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٨٩).

قال البغوي رحمه الله: ... إلا أن يكون من الذين يقولون: محمد مبعوث إلى العرب خاصة، فحينئذ لا يُحكم بإسلامه بمجرد الإقرار بالرسالة حتى يُقرَّ أنه مبعوث إلى كافة الخلق<sup>(١)</sup>. اهـ

وقال النووي رحمه الله: ... إلا إذا كان من الكفار الذين يعتقدون اختصاص رسالة نبينا ق إلى العرب؛ فإنه لا يحكم بإسلامه إلا بأن يتبرأ<sup>(٢)</sup>. اهـ



وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ . وَالِدَّلِيلُ .....  
قوله (وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ):

دل على هذا الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

**أما الكتاب؛** فالأدلة كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

**وأما منه السنة فالأدلة كثيرة أيضاً منها؛** حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ق، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»<sup>(٣)</sup>.

وحديث أبي هريرة أيضاً عن رسول ق أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح السنة (١٠/٢٤٢-٢٤٣) ونقله عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/٣٤٩) تحت حديث رقم (٦٩٢٤).

(٢) المنهاج شرح مسلم (١/١٠٦) تحت حديث جبريل المشهور.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٨٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٣).

وأما الإجماع فقد قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله:  
**وهذا بإجماع المسلمين؛** وقرن طاعته بطاعته في غير موضع من كتابه<sup>(١)</sup>. اهـ  
 قلت: وقد سبق معنا شيء من الكلام على الطاعة.  
 قوله (الجنّ وَالْإِنْسِ): قيل: سمي الجنّ والإنس بالثقلين لكثرة عددهم، وقيل:  
 لأنهم أثقلوا السماء والأرض.  
 قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على أن رسول الله ق أرسل إلى الناس كافة جنهم  
 وإنسهم.



**قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)**

[الأعراف: ١٥٨]، وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ.....

قوله تَعَالَى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا): قال العلامة ابن  
 كثير رحمه الله: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ق ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿يا أيها الناس﴾  
 وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إني رسول الله إليكم جميعا﴾ أي:  
 جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما  
 قال تعالى: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾  
 [الأنعام: ١٩] وقال تعالى: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ [هود: ١٧]  
 وقال تعالى: ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن  
 تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ [آل عمران: ٢٠] والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في  
 هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه، صلوات الله وسلامه  
 عليه، رسول الله إلى الناس كلهم. اهـ ثم ذكر جملة من الأحاديث في ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة.

قوله (وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ): أي لم يتوفى النبي ق حتى أكمل الله به الدين وبلغ البلاغ المبين، وأتم نعمته على العالمين، وجاهد في الله حتى أناه اليقين، قال النبي ق: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»<sup>(١)</sup>.  
وتقدم معنا أن رجلاً قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «قَدْ عَلَّمَكُم نَبِيُّكُمْ ق كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الحِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ».



**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣].....**

قوله (وَالدَّلِيلُ): أي: والدليل على أن الرسول ق كمل الله به الدين.  
قوله (قَوْلُهُ تَعَالَى): في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا، مِنْ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُ وَنَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَا نَتَّخِذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ق، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»<sup>(٢)</sup>.  
قوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا): قال العلامة ابن كثير رحمه الله: هذه أكبر نعم الله، عز وجل، على هذه

(١) صحيح بطرقه وشواهد: أخرجه أحمد في المسند (١٢٦/٤)، ومن طريقه أخرجه الحاكم في المستدرک (٩٦/١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٦/١) رقم (٤٣) وغيرهم من طريق عبدالرحمن بن عمرو السلمی، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وعبدالرحمن بن عمرو السلمی روى عنه جمع ولم يوثقه معتبر فهو مجهول حال ولكن للحديث طرق أخرى وشواهد يصحح بها. وانظر: تحقيق المسند (٣٦٧/٢٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٥-٤٤٠٧) وغيره، ومسلم برقم (٣٠١٧) واللفظ للبخاري.

الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وهو الإسلام.

أخبر الله نبيه ق والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا<sup>(١)</sup> (٢). اهـ.

**وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) [الزمر: ٣٠ - ٣١]**

قوله (إِنَّكَ مَيِّتٌ): قال الشيخ صالح آل الشيخ: فات عليه الصلاة والسلام، والذين يدعون أنه حي لم يموت، وأن روحه تحضر، ويتنقل، ونحو ذلك، فهؤلاء مكذبون للقرآن، كفره بالله جلا وعلا؛ لأن الله جل وعلا قال لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] يعني ستموت، ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ إنهم سيموتون، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إنكم جميعا أنتم وهم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨٠ / ٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ولم يسمع منه فالأثر منقطع، والكلام

جيد.

(٢) من تفسير ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية المذكورة.



تَخْتَصِمُونَ ﴿ [الزمر: ٣١]. وقال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

**وسمه العلوم؛** ما حصل من قيام أبي بكر في الناس بعد موت الرسول ق خطيباً، قائلًا فيها يروى: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا قَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَّرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]». قال عمر أ: «كأنني لم أسمع الآية إلا حين تلاها أبو بكر رضي الله عنه» (١).

لكن الرسول ق بعد موته في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية فهو حي، وحياته أكمل من حياة الشهداء وهو قد مات، وتوفاه الله جل وعلا، وانقطع عن هذه الدنيا، فقد توفي عليه الصلاة والسلام، وانقضى أجله، وهو بالرفيق الأعلى بالجنة، وهو عند الله جل وعلا بأعلى المقامات، عليه الصلاة والسلام (٢). اهـ

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذابين.

(١) متأخره البخاري في صحيحه برقم (١٢٤٢) و(٣٦٦٧) وغيره عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) من شرح ثلاثة الأصول (ص ٥٢٩) ضمن جامع شروح الثلاثة الأصول.

ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة<sup>(١)</sup>. اهـ.

**قلت:** ففي هذه الآية دليل على أن النبي ق وغيره من البشر يموتون، وكذلك جميع من في الأرض ومن في السماء يموتون ويذهبون إلا من شاء الله ولا يبق إلا وجهه سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].  
واستثنى أهل العلم من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطي بقوله:  
ثمانية حكم البقاء يعـــمها      من الخلق والباقون في حيز العدم  
هي العرش والكرسي نار وجنة      وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم  
ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى:  
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، فإن المراد بهما كل شيء كتب عليه الفناء والهلاك  
هالك، وعموم (كل) في كل مقام بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن كقوله عن ملكة سبأ:  
﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].  
فالمراد به من كل شيء يحتاج إليه ويؤتاه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام؛  
لأن المراد أنها ملكة تامة الملك.



(١) من تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) [طه: ٥٥] طه، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) [نوح: ١٧ - ١٨] وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) [النجم: ٣١] ، وَمَنْ كَذَبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [التغابن: ٧] وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.....

قوله (رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ): سبق معنا الكلام على البعث في الأصل الثاني في الكلام على اليوم الآخر، وذلك هو موضعه، ولكن خصه المؤلف رحمه الله بالذكر هنا؛ لأنه كان في زمانه كثير ممن ينكره ويكذب بالبعث فأراد أن ينبه على أهمية هذه المسألة والرد عليهم.

قوله (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ): وإرسال الرسل له حكمة عظيمة ومنفعة جزيلة على العباد، ومن أهم هذه الحكم:

١ - إقامة الحججة على الناس.

٢ - البشارة لأهل التوحيد والإيمان.

٣- النذارة عن الشرك، والطرق التي تؤدي إليه، ودليل هذه الثلاثة قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

٤- أنهم رحمة للعالمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٥- بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى؛ لأن الإنسان لا يعرف ما يجب لله على وجه التفصيل إلا عن طريق الرسل، فهم الواسطة بيننا وبين الله.



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].....

قوله (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ): أي: ييسرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب.

قوله (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ): أي: إنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه، مما يكره ويأباه؛ لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنَحْزَى﴾ [طه: ١٣٤]. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] <sup>(١)</sup>. اهـ قاله ابن كثير -.

(١) في تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.



وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وخصه  
وبينهاهم عن عبادة الطاغوت<sup>(١)</sup>، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ  
أُمَّةٍ رَسُولًا<sup>(٢)</sup>.....

قوله (وكل أمة بعث الله إليهم رسولا): أي: أن الله بعث في كل أمة رسولا  
يدعوهم إلى عبادة الله وخصه وبينهاهم عن الشرك، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ  
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا  
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة:  
٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قوله (والدليل): أي: والدليل على أن كل أمة أرسل الله إليهم رسولا يأمرهم  
بعبادة الله وخصه وبينهاهم عن عبادة الطاغوت.

قوله (وَلَقَدْ بَعَثْنَا): أي: أخرجنا وأرسلنا.

قوله (فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا): المقصود بالأمة هنا: الطائفة من الناس.

وتطلق الأمة في القرآن على أربعة معان:

١ - الطائفة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ  
وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢ - الإمام؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

٣ - الملة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

٤ - الفترة من الزمن؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].  
 .....  
 أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا ﴿ [النحل: ٣٦]، وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ  
 .....  
 الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ.....

قوله (أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا): قال ابن كثير رحمه الله: فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ق الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥] (١). اهـ

**قلت:** فدلّت هذه الآية على أنه لم تخل أمة من رسول، وأن الرسل كلهم أرسلوا بهذه الكلمة ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وابتعدوا وتركوا عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

### فائدة:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فيه دليل على ركني لا إله إلا الله، وهما النفي والإثبات، فقوله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إثبات، وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ نفي.

(١) من تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

قال المؤلف رحمه الله: اعلم -رحمك الله تعالى- أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

**فأما صفة الكفر بالطاغوت،** فإن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وتبغضها وتكفر أهلها، وتعاديهم.

**قلت:** لا بد من أربعة أمور في الكفر بالطاغوت:

- ١ - أن تعرف معنى الطاغوت، وسيأتي تعريفه إن شاء الله.
- ٢ - إذا عرفته يجب عليك أن تجتنبه وتعتقد بطلانه قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَيِّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].
- ٣ - فلا يكفي أن تعرفه فقط؛ لا بد أن تعاديه وتبغضه، وتبغض أتباعه وتعاديهم في الله عز وجل ولأجل الله عز وجل.
- ٤ - تحذر الناس من هذا الطاغوت، الذي عرفته واجتنبته وعاديته، وتحذر من أتباعه وأذنابه قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

**وأما معنى الإيمان بالله:** فإن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.

وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمُ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُمْ﴾ [المتحنة: ٤] <sup>(١)</sup>.



قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ — مَعْنَى الطَّاعُوتِ .....

قوله (قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ—): هو الإمام الهمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي الدمشقي المشهور بـ(ابن القيم الجوزية) أحد الأئمة المتمكنين في علوم شتى له مؤلفات كثيرة جداً في أنواع العلم تشهد له بمدى علمه الفائق وإطلاعه الواسع من أشهرها: (تهذيب سنن أبي داود)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، و(بدائع الفوائد)، و(الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة)، و(جلاء الأفهام في ذكر الصلاة على خير الأنام)، و(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) وغيرها، ولد سنة (٦٩١) وتوفي سنة (٧٥١هـ) — رحمة واسعة <sup>(٢)</sup>.

قوله (مَعْنَى الطَّاعُوتِ): الطَّاعُوتِ فِي اللِّغَةِ: هو صيغة مبنية للكثرة والسعة فهو مشتق من طعى يطغي طغياناً، والطغيان مجاوزة الحد.

(١) من رسالته (معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه)، مطبوعة ضمن (مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

(٢٥٣-٢٥٢/٦).

(٢) انظر ترجمته في كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة) لابن رجب (٢/٤٤٧-٤٥٢) وغيره.



**ومنه؛** قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] أي لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة، وتقول كذلك طغى الرجل إذا تجاوز حده، فالطاغوت مبني من الطغيان، لكنه للكثرة مثل ملكوت، ورحموتونحو ذلك، وجاء عن عمر بن الخطاب أنه قال: الطاغوت الشيطان<sup>(١)</sup>.

وجاء عن جابر أنه قال: الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين<sup>(٢)</sup>.

**وقال بعضهم:** الطاغوت الساحر.

**وقال بعضهم:** الطاغوت الأصنام، وقيل غير ذلك. وهذه كلها تعريف الشيء بجزء من أجزائه، وهذا فيه قصور.

**والصحيح؛** أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله، ثبت هذا عن مالك<sup>(٣)</sup> وهو قول الجمهور.

قال النووي رحمه الله: قال الليث، وأبو عبيدة، والكسائي، وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله<sup>(٤)</sup>. اهـ.

**قلت:** وهذا يشمل الشيطان والأصنام وغيرهما.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣١/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٥/٢) و(٩٧٥/٣)، والأثر ضعيف لا يصح عن عمر؛ لأن في إسناده حسان بن فائد العبسي فيه كلام، لكن وجد من قال بهذا القول، بل قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: بعد ذكر قول عمر ومعنى قوله في الطاغوت (إنه الشيطان) قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها. اهـ.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٥٨/٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٦/٣)، بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٦/٣) بسند صحيح.

(٤) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (١٨/٣) ط/ دار الفكر بسند صحيح.



وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿المائدة: ١١٦، ١١٧﴾ وغيرها من الآيات والأحاديث التي تدل على هذا المعنى. المعبود مثل الأصنام، والأنبياء والأولياء وغيرهم على التفصيل الذي سبق.



أَوْ مَتَّبِعًا وَمُطَاعٍ، وَالطَّوَاعِيَةُ كَثِيرُونَ. وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ، إِبْلِيسُ لَعْنَهُ  
الله.....

قوله (أَوْ مَتَّبِعًا): إذا اتبع أحد فجاوز العبد بهذا المتبع حده بذلك الذي أذن به شرعاً، فقد صار هذا المتبوع طاغوتاً له، إذا كان رضيعاً بذلك فإذا لم يكن راضياً بذلك فليس بطاغوت، والمتبوع مثل الكهان والسحرة، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر وغيرهم.

قوله (أَوْ مُطَاعٍ): مثل الأمراء الخارجين عن طاعة الله، فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً يحل ما حرم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له، فهؤلاء طواعيت، والفاعل تابع للطاغوت.

قوله (وَالطَّوَاعِيَةُ كَثِيرُونَ): أي: إذا عرفت ما حده ابن القيم في الطاغوت، تبين لك أن الطواعيت كثيرة جداً من بني آدم، بلا حصر وذلك أن كل من تجاوز حده في الشرع، صار بتجاوزه طاغوتاً.

قوله (وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ): أي أكابرهم وزعمائهم ومقلدوهم بالتبع والاستقراء والتأمل خمسة.

قوله (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ): إبليس هو الشيطان اللعين الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨] وهو أكبر الطواغيث ورأسهم؛ لأنه متبوع، ولأنه مطاع، فاجتمعت فيه الأوصاف الثلاثة وهو راض بذلك كله، ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والاستجابة هنا في المتابعة والطاعة، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] أي لا تطيعوا.



وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ<sup>(١)</sup>، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.....

قوله (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ): أي وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه يكون من رؤوس الطواغيث سواء عبد في حياته أو بعد مماته وهو راض، أما إذا لم يكن راض بهذا فقد سبق معنا أنه لا يكون طاغوتاً.

قوله (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ): وإن يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيث سواء استجيب لما دعا أو لم يستجاب، وهذا أعظم من الذي سبق قبله؛ لأن الذي سبق قبله يعبد وهو ساكت لم يدع إلى عبادة نفسه، أما هذا فإنه يدعو إلى عبادة نفسه ويحث عليها.

فهذا ممن يقر الغلو، والتعظيم بغير حق، وهذا كفرعون ومشايخ الضلال، من الصوفية والإسماعيلية ورؤوس الرافضة وغيرهم.

قوله (وَمَنْ أَدَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ): الغيب: هو كل ما غاب عن العيون، وسواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل تقول: غاب عنه غيباً وغيبة<sup>(١)</sup>. اهـ

ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة الإسلامية، فإنه يكون مشاركاً لله عزوجل فيما اختص به، فيكون مشركاً وكافراً، ومن رؤوس الطواغيت وزعمائهم، وهذا مثل الكاهن والعراف والساحر والرمال وغيرهم ممن يدعي علم الغيب، فهم مرتدون بهذا الزعم الكاذب، والأدلة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله كثيرة جداً من الكتاب والسنة نذكر طرقاتها إن شاء الله عزوجل.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

وقال تعالى عن نبيه محمد ق: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وغير ذلك من الآيات.

(١) النهاية (مادة غيب).

ومن السنة حديث عائشة ل أنها قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَرَأَ رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، «وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>. وحديث ابن عمر ب عن النبي ق، قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ حَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الأدلة كثير.

### والغيب نوعان:

قال العلامة العثيمين رحمه الله: الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان: واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً، قلت: مثل ما يقع في المسجد يعد غيباً لمن في خارج المسجد وليس غيباً بالنسبة لمن بالمسجد، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلععه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥]، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمد ق، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٠)، ومسلم برقم (١٧٧) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٣٧٩).

وجل ورسوله في هذا الخبر. ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبى ق لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول ق؟

فإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال عز وجل عن نفسه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٧]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ق أن يعلن للملأ بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠] <sup>(١)</sup>.



وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.....

قوله (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ): قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وهذه الأوصاف الثلاثة تنزل على موصوفين؛ بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله، وليست تنزل على موصف واحد.

فيكون كافرًا كفر أكبر مخرج من الملة في ست حالات:

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥٣-١٥٤).

- **الأولى:** إذا جحد الحاكم أحقية حكم الله ورسوله، وهذا بالإجماع<sup>(١)</sup>.
  - **الثانية:** إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله.
  - **الثالثة:** إذا اعتقد أن حكم غير الله أفضل وأحسن من حكم الله، وهذا بالإجماع<sup>(٢)</sup>.
  - **الرابعة:** إذا اعتقد أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله أي مثل حكم الله.
  - **الخامسة:** إذا اعتقد أن حكم غير الله جائز.
  - **السادسة:** إذا حكم بالقوانين الوضعية (المخالفة للشرع) مستحلاً لها.
- قال العلامة العثيمين رحمه الله: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كضراً مخرجاً عن الملة. اهـ<sup>(٣)</sup>  
المقصود

ويكون ظالماً: إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام، وأنه أنفع للعباد والبلاد، وأنه الواجب تطبيقه، ولكن حملة البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله، فهو ظالم<sup>(٤)</sup>. اهـ قاله العلامة العثيمين رحمه الله.

وقال-: ويكون فاسقاً إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق، لكن حكم بغيره لهوى في نفسه؛ أي: محبة لما حكم به لا كراهة لحكم الله ولا ليضر أحداً به، مثل: أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها، أو لكونه قريباً أو صديقاً، أو يطلب من ورائه حاجة، وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الأمثل

(١) نقل الإجماع الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رسالته (تحكيم القوانين الوضعية) (ص ٦).

(٢) نقل الإجماع العلامة ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٢٦١).

(٣) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥٨).

(٤) في فتاواه (١٠/ ٧٤١)، والقول المفيد (ص ٤٧١) ط/ دار ابن الجوزي.



والواجب اتباعه؛ فهذا فاسق، وإن كان أيضاً ظالماً، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم<sup>(١)</sup>. اهـ قاله العلامة ابن عثيمين رحمه الله.

وقال أيضاً: ومن يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله ولا احتقاراً ولا اعتقاداً أن غيره أصلح وأنفع للخلق أو مثله وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم<sup>(٢)</sup>. اهـ

**قلت:** وهذا التفصيل الذي ذكرناه هو الذي قرره ودرج عليه العلماء، ويكون الحكم بغير ما أنزل الله طاغوتاً من رؤوس الطواغيث وزعمائهم في حالاته الثلاثة التي سبق ذكرها.

وإن حكم بغير الله نتيجة خطأ في الاجتهاد، وهو أهل للاجتهاد ولم يتعمد مخالفة الكتاب والسنة، فخطأه مغفور لقول النبي ق: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

تنبيه وفائدة:

قال العلامة العثيمين رحمه الله: وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة - نسأل الله تعالى أن

(١) في فتاواه (١٠/٧٤١)، والقول المفيد (ص ٤٧١-٤٧٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة وانفرد به البخاري عن أبي

يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم - كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين<sup>(١)</sup>. اهـ



..... وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ .....  
 .....  
 .....

قوله (وَالِدَلِيلُ): أي الدليل على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.

قوله (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ): قال العلامة ابن كثير رحمه الله: أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً. وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً<sup>(٢)</sup>. اهـ

هذا هو معنى هذه الآية وليس معناه أن الكفار يتركون ولا يقاتلون ولا يدعون إلى الإسلام كما يقوله في هذا الزمان الكفار والمنافقون والجهال من المسلمين الذين يقولون

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥٩).

(٢) من تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

بحرية الأديان، وحرية العقيدة، وأن الإنسان حر يأخذ بأي دين أراد ويستدلون ويرددون هذه الآية ويقولون الناس أحرار في عقائدهم فما الرد عليهم؟

الرد عليهم من وجوه:

• **الأول:** أن هذا كذب على الله عزوجل ليس هذا هو مراد الله عزوجل، الله عزوجل خلق الخلق لعبادته لا لعبادة غيره كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] فلو كان الناس يُتركون أحراراً كفاراً يعبدون ما شاءوا فما الفائدة من هذه الآية؟!؟

• **الثاني:** لو كان كما يقولون: إن الناس أحرار في عقائدهم، وعبادتهم فما الفائدة والحكمة من إنزال الكتب وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام؟!؟

• **الثالث:** لو كان كما يقولون: إن الناس أحرار في عقائدهم وعبادتهم، يعتقدون ما شاءوا ويعبدون ما شاءوا لما صار هناك فائدة للدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله.

• **الرابع:** لو كان كما يقولون: إن الناس أحرار في عقائدهم وعبادتهم، يعتقدون ما شاءوا ويعبدون ما شاءوا لما كان هناك فائدة لخلق الجنة والنار، فلماذا يدخلون النار ويعذبون فيها ويخلدون فيها وهم أحرار، هل ظلمهم الله بهذا، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

• **الخامس:** أن قولهم هذا لم يقل به أحد من المفسرين في معنى هذه الآية، فهو كذب على الله.

ولكن للمفسرين ثلاثة أقوال في معنى هذه الآية<sup>(١)</sup>:

• **القول الأول:** أن قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] خاص بأهل الكتاب، من اليهود والنصارى لا يكرهون على الدخول في الإسلام إذا بذلوا الجزية وهم صاغرون خاضعون لحكم الإسلام، ولم ينسخ منها شيء، وإلى هذا مال ابن جرير الطبري -<sup>(٢)</sup>.

• **القول الثاني:** أن قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] منسوخة بآية القتال، فإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الإسلام، وآية الجهاد مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] وغيرهما من الآيات كثيرة.

• **القول الثالث:** أن قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] خاص باليهود والنصارى، كانوا إذا أسلم أحد منهم يكره أولاده على الدخول في الإسلام.

(١) راجع هذه الأقوال في تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي وغيرهم عند تفسير الآية المذكورة.

(٢) انظر تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

وذلك لما ثبت في سبب نزول الآية، أخرج ابن جرير الطبري عن ابن عباس ب  
قال: «كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِثْلًا تَأْتِي فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ،  
فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٥٦]»،  
وقد تقدم كلام ابن كثير رحمه الله أنه قال: حكمها عامًا.

هذه الردود ليست على سبيل الحصر وأدلة القرآن والسنة مليئة بالرد عليهم  
والله المستعان.



قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.....

قوله (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ): أي: قد وضح الحق من الباطل.

قوله (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ): سبق الكلام على الطاغوت.

قوله (بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى): أي: فقد استمسك من الدين بأقوى  
سبب، وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة

(١) المقاتل: المرأة التي لا يعيش لها ولد، وأصله من القلت وهو الهلاك. من «عون المعبود» (٧/٢٤٦).

(٢) صحيح، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/١٤) عند هذه الآية، ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه أبو داود (٣/١١) والنسائي في تفسيره (١/٢٧٣) وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن (ص٤٢٧)،

وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص٤٦-٤٧) للعلامة الوادعي رحمه الله.

قوية، ربطها قوي شديد ولهذا قال: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله ابن كثير رحمه الله <sup>(١)</sup>.

وانظر كيف قال: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾، ولم يقل: (تمسك)؛ لأن الاستمساك أقوى من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك فهي كناية على شدة الإمساك.

وفي معنى العروة الوثقى خمسة أقوال:

- **الأول:** قيل: هي الإيمان.
- **الثاني:** قيل: هو الإسلام.
- **الثالث:** وقيل هي: لا إله إلا الله.
- **الرابع:** قيل هي: القرآن. الخامس: قيل هي: الحب في الله، والبغض في الله.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها <sup>(٢)</sup>. اهـ



(١) في تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير الآية المذكورة.

لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ.....»

قوله (لا انفصام لها والله سميعٌ عليمٌ): أي: لا انكسار وانقطاع لها من دخول  
الجنة.

قوله (وهذا هو معنى لا إله إلا الله): أي: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله عز  
وجل وقد سبق معنا مباحث تتعلق بهذه الكلمة.

قوله (وفي الحديث): أي: حديث معاذ بن جبل الطويل<sup>(١)</sup>.

قوله (رأس الأمر الإسلام): أراد بالأمر هنا أمر الدين، وبالإسلام كلمتي  
الشهادة، يعني ما لم يُقر العبد بهما لم يكن له من الدين شيء أصلاً، وإذا أقر بهما حصل له  
أصل الدين، إلا أنه ليس له قوة وكمال كالبيت الذي ليس له عمود، فإذا صلى وداوم  
على الصلاة قوي الدين، ولكنه لم يكن له دفعة وكمال، فإذا جاهد حصل لدينه  
الرفعة<sup>(٢)</sup>. اهـ.



وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....

(١) (هذا اللفظ حسن لغيره) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٦١٦) وأحمد في المسند (٢٣١/٥، ٢٣٧) وابن ماجه في سننه  
برقم (٣٩٧٣) والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤) والطبراني في الكبير (١٣١/٢٠) وغيرهم من طرق لا تحلو من مقال  
فيها، ولكن لهذه اللفظة شواهد تصحح بها وقد صحح الحديث محدث العصر العلامة الألباني رحمه الله في (الإرواء)  
(٢/١٣٨-١٤١) برقم (٤١٣).

(٢) قوة المغندي على جامع الترمذي (٢/٦٣٩).

قوله (وَعَمُودُهُ): بفتح أوله أي ما يقوم به ويعتمد عليه.

قوله (الصَّلَاةُ): أي: لا يقوم الإسلام إلا بعموده وهو الصلاة، وهذا فيه فضل وأهمية الصلاة، فإن مكانها من الدين، مكان العمود من الفسطاط، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت، سقط الفسطاط فكذلك الصلاة إذا سقطت سقط الإسلام، وهذا الحديث مما استدل به على أن تارك الصلاة تكاسلاً كافر.

قوله (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ): الذروة بكسر الذال وهو الأشهر وبضمها، وحُكي بفتحها أعلى الشيء، والسنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه. والجهاد لا يقاومه شيء من الأعمال كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ق: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

قال القاري رحمه الله: وفيه إشعارٌ إلى صُعُوبَةِ الْجِهَادِ وَعُلُوِّ أَمْرِهِ وَتَفَوُّقِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ، وَالْجِهَادُ مِنَ الْجُهْدِ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ الْمُشَقَّةُ، أَوْ بِالضَّمِّ وَهُوَ الطَّاقَةُ؛ لِأَنَّهُ يَبْذُلُ الطَّاقَةَ فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ عِنْدَ فِعْلِ الْعَدُوِّ مِثْلَ ذَلِكَ، أَوْ بِضَمِّ جُهْدِهِ إِلَى جُهْدِ أَخِيهِ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ كَالْمُسَاعَدَةِ، وَهِيَ ضَمُّ سَاعِدِهِ إِلَى سَاعِدِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٧٨).



أَخِيهِ لِتَحْصِيلِ الْقُوَّةِ، وَلَهُ أَنْوَاعٌ مِنْ جِهَادِ الْأَعْدَاءِ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَجِهَادُ  
النَّفْسِ بِحَمَلِهَا عَلَى اتِّبَاعِ الْأَحْكَامِ، وَتَرْكِ الْخَطُوطِ، وَتَكْلِيفِ الْخِصْلَةِ الْمَذْمُومَةِ  
الْمُفْرِطَةِ خِلَافَ مُقْتَضَاهَا، وَالْعَمَلِ بِنَقِيضِ مُوجِبِهَا حَتَّى اعْتَدَلَتْ وَتَنَاسَقَتْ قُوَّةُ  
الْعِلْمِ وَالْعَضْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْعَدْلِ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ... اهـ<sup>(١)</sup> المقصود



والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.....  
قوله (والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم): ختم المؤلف  
رحمه الله هذه النبذة الجليلة والرسالة العظيمة كعادته برد العلم إلى الله عز وجل  
علام الغيوب الذي يعلم كل شيء، الذي يعلم الجهر وما يخفى لا يخفى عليه  
سبحانه وتعالى ما تكنه الصدور، وأتبعها بالصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد  
الأمين ق، وعلى من اتبعه من آله الأشراف، ومن صحبه الأبرار الأخيار الذين  
حفظوا لنا الدين من بعده، وصبروا على الأذى فيه Q وأرضاهم أجمعين.  
كان الانتهاء من تبييض وتحرير هذه الرسالة بفضل الله وإعانتته وتوفيقه وحده،  
مساء يوم الخميس الموافق (٨/ محرم/ عام ١٤٣٢ هـ) بمكتبة دار الحديث بدماج  
حرسها الله، والقائمين عليها من كل سوء ومكروه.

كتبه :

الفقير إلى ربه ومولاه

(١) (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) (١/ ١٩٥).

أبو عبد الرحمن سمير بن بشير بن خضر البرايحي الجزائري،  
غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين أجمعين.

## المحتويات

٢.....	تقديماً للشيخ الفاضل أبي عبد الله محمد بن علي بن حمزة البغدادي
٣.....	مقدمة المؤلف
٥.....	سبب شرح هذه الرسالة
٦.....	طريقة شرح هذه الرسالة:
٨.....	ثناء وإرشاد بعض العلماء علينا ثلاثة الأصول لبيان أهميتها
١١.....	تسمية الرسالة
١١.....	تسميات أخرى لهذه الرسالة القيمة:
١٣.....	تحقيق وضبط المتن
١٥.....	الأصل الأول
١٥.....	وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ
١٩.....	الأصل الثاني
١٩.....	مَعْرِفَةُ دِينِنَا لِإِسْلَامِنَا بِأَدَلَّةٍ
١٩.....	فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ (خَمْسَةٌ)
٢١.....	المرتبة الثانية الإيمان
٢١.....	المرتبة الثالثة: الإحسان
٢٣.....	الأصل الثالث
٢٣.....	مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٢٨.....	شرح بالبسملة:

- ٣٦ ..... فائدة:
- ٣٧ ..... فائدة في الفرق بين الرسول والنبى:
- ٣٩ ..... فائدة:
- ٤١ ..... تنبيه:
- ٥٠ ..... فائدة:
- ٥٢ ..... بيان معنى كلام الشافعي :::
- ٦١ ..... فائدة:
- ٦٥ ..... فائدة:
- ٧٥ ..... فائدة:
- ٧٧ ..... فائدة:
- ٧٨ ..... فائدة جلية:
- ٧٨ ..... تنبيه:
- ٧٩ ..... الشرك الأكبر:
- ٨٠ ..... الشرك الأصغر:
- ٨٢ ..... فائدة:
- ٩٨ ..... فائدة:
- ١٠٤ ..... فائدة:
- ١٠٧ ..... فائدة:
- ١٠٨ ..... فائدة جلية:
- ١٠٩ ..... فائدة:
- ١١١ ..... تنبيه:
- ١١٢ ..... قاعدة جلية في التوكل:
- ١١٢ ..... الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

- فائدة: ..... ١١٥
- أقسام الإنابة: ..... ١١٨
- أقسام الاستعانة: ..... ١٢٠
- أصول الاستعانة: ..... ١٢١
- أقسام الاستعاذة: ..... ١٢٤
- تعريف الاستغاثة: ..... ١٢٦
- مسألة الفرق بين الاستعانة والاستغاثة: ..... ١٢٨
- أقسام الذبح: ..... ١٢٩
- فائدة: ..... ١٣٢
- أقسام النذر: ..... ١٣٣
- مسألة: هل يكون النذر لغير اللهش كأصغر؟ ..... ١٣٥
- الأصل الثاني ..... ١٣٦
- تنبيه: ..... ١٣٧
- فائدة: ..... ١٤٥
- إشكال جوابه: ..... ١٤٧
- مسألة: حکمتار كالصلاة. ..... ١٥٨
- مسألة: حکم الزكاة: ..... ١٦٠
- مسألة: حکمتار كالزكاة: ..... ١٦٠
- مسألة: حکم صوم رمضان: ..... ١٦٣
- مسألة: حکم الحج: ..... ١٦٦
- مسألة: هل يكفر تارك الصوم والحج. ..... ١٦٧
- مسألة وفائدة جليلة: ..... ١٧٠
- بمفسر العلماء هذا الشعب؟ ..... ١٧٠

- ١٧٢ ..... فائدة:
- ١٧٩ ..... فائدة جلييلة:
- ١٨٦ ..... فائدة:
- ١٨٧ ..... فائدة:
- ١٩٢ ..... تنبيه:
- ٢٠٥ ..... الأصل الثالث
- ٢٠٩ ..... قاعدة وفائدة:
- ٢٠٩ ..... قاعدة وفائدة:
- ٢٠٩ ..... قاعدة وفائدة:
- ٢١٠ ..... كنيته صلى الله عليه وسلم:
- ٢١٢ ..... قوله (إِنْعَبْدُ الْمُطَلَّبِينَهَا شِم): نسبة صلى الله عليه وآله وسلم:
- ٢١٦ ..... ولادته ورضاعته ونشأته، وكم عمّر صلى الله عليه وسلم:
- ٢٢١ ..... قصة بدء الوحي:
- ٢٢٢ ..... فائدة:
- ٢٢٥ ..... فائدة:
- ٢٣١ ..... فائدة:
- ٢٣٤ ..... تنبيه:
- ٢٣٧ ..... قصة الإسرء والمعراج
- ٢٤٠ ..... فائدة:
- ٢٤١ ..... مسألة: متي كانا لإسرء والمعراج؟
- ٢٥١ ..... إشكال وجوابه:
- ٢٥١ ..... الإشكال:
- ٢٥١ ..... الجواب:

- ٢٦٥ ..... تنبيه:
- ٢٦٩ ..... وظائف الإنكار:
- ٢٨٦ ..... فائدة:
- ٢٩٤ ..... والغينوعان:
- ٢٩٧ ..... تنبيه فائدة:
- ٢٩٩ ..... الرد عليهم ممنوجوه:
- ٣٠٦ ..... المحتويات